حلم أفلاطون

رواية

اسم الكتاب: حلم أفلاطون
اسم المؤلف: السيد محمد عرفة
التصنيف: رواية
الحجم: 14 - 20
عدد الصفحات: 136
سنة الإصدر: 2024
رقم الإيداع: 27118 / 2024
الترقيم الدولي: 7 – 016 – 971 – 977 - 978
تدقيق لغوي: د. هبة ماردين
تصميم غلاف: هبة إبراهيم
تنسيق وإخراج: فريق ديوان العرب

الناشر
ديوان العرب للنشر والتوزيع

إميلات الدار
dewanalarabegypt@gmail.com
dewanelarab1978@gmail.com

حلم أفلاطون

رواية

السيد محمد عرفة

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف،
ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي،
أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،
أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت،
إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

إهداء

إلى من تعلمت منه الكثير، إلى - أبي - قدوتي ومنهاجي بعد رسولنا الكريم، أعلم أنك بخير وسوف تكون بخير،،، ما دمت في معية الله..

" وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ "

السيد محمد عرفة

****

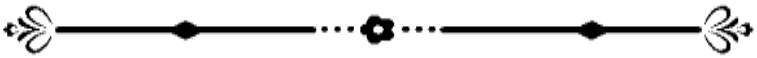

من منا لم يحلم أن يكون له بداية أخرى يختارها، يصنع حواريها ومداخلها، يقيم سواعدها.

لكن إذا فكر في ذلك هل يستطيع؟

رغم كلّ الظروف المحيطة!

ماذا لو واجهت الإنسان أشياء أغلبها ضده؟

رغم أنّه ومن المؤكد له يد في ذلك...

لا تتعجب كثيرًا؛ كلّ ظلم وقع على الإنسان من نفسه لنفسه...

منذ أن خلق الله آدم وتلك هي طبيعة البشر.

كلّ الظلم في أن تترك الجنة ونعيمها لتهبط إلى الأرض وشقائها، لكن هيهات، هيهات، الظالم والمظلوم هنا هو آدم عليه السلام؛ الظالم لنفسه واتباعه لنفسه... (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)[1]....

نكرر السؤال مرة أخرى وبصورة أوضح.

ماذا لو واجهتك كلّ هذه العقبات والمخاطر وتلك هي الطبيعة، ولم تستطع المكوث أمامها، واخترت أن ترحل باحثًا عن حياة أخرى ربما تملك فيها ما تأمله، هل ذلك يعد نجاحًا، أم تراه هروبًا؟

خاصة أنّ الأمر لا يختلف كثيرًا من مكانٍ إلى مكانٍ، أو من زمانٍ لزمانٍ، وكيف تختلف الأمور وهناك عنصر أساسي مشترك بينهما، من أجله خلقت الأرض واستخلف فيها.

---

[1] سورة الكهف- آية (49)

الجمعية العمومية للأمم المتحدة

اجتمعت الجمعية العمومية للموافقة على انضمام دولة جديدة لها والحصول على العضوية، وبالتالي تعترف بها كل الدول، ويصبح لها كل الحقوق الدولية.

هناك من يعترض وهناك من يؤيد.

بعد أن حضر الجميع، وحضر السيد/ سام نور ونائبه أحمد مكرم ممثلا هذه الدولة، بدأ الأمين العام مرحبًا بالسادة الحضور وألقى كلمته الافتتاحية، ثمّ أسند الكلمة للسيد / سام نور.

بدأ سام حديثه بالسلام وأتبع:

لقد جئنا إليكم اليوم محملين بآمال من ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وعلموا أنّ أرض الله واسعة فهاجروا فيها.

نحن لم ولن نكون عصاة المجتمع، بل صورة جمالية للعالم إذا توحد.

انظر لنا، وتمعّن هذا صديقي ونائبي وليس بيننا رئيس ومرؤوس؛ تلك الألقاب نقذفها من أفواهنا إليكم.

ما جئنا إليكم اليوم نناشدكم، لكن جئنا لنعلنها أمامكم، اليوم هو ميلاد دولة جديدة - دولة قيء عصاة - نعم اخترنا هذا الاسم؛ لأننا كما أخبرناكم لسنا بعصاة وإنما نحن قيئكم المرير الذي عاد لأمعائكم.

ليبقَ هذا الاسم أمامكم حتى يذكركم بالماضي وما فعلتموه بنا.

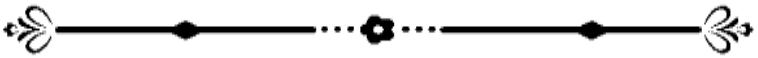

الماضي

لا أحد يعلم حقيقة هذه الأرض ولا الذين يعيشون فيها، من أين أتوا؟ حكايات وأساطير تنقلها الأجيال، معتكفين داخل تلك الحدود الجغرافية، منعزلين عن العالم، لهم تقاليدهم وعاداتهم، يسكنون هذه الأرض البعيدة عن الأنظار، جزيرة أو جزر مغطاة بالأشجار.

يُروى أنّ أوّل قاطنيها قبيلة من القبائل الأسيوية، هاجرت إليها امتثالًا للسعيّ وبحثًا عن الرزق، أو فرارًا من الفتن التي أصابت بعض البلاد قديمًا.

ويقال: إنّ أوّل من اكتشفها أحمد مكرم، الشاب المصري الأصل وأحد أبناء جيشها يغلب على ملامحه سمار النيل، شعره مجعد، عيناه واسعتان كالليل الكاحل، متوسط القامة وعريض المنكبين.

يقال إنّه سافر ضمن قوات حفظ السلام إلى هذه الجزر التي أصبحت مطمعًا للدول الكبرى؛ الجميع يريد فرض سيطرته على المحيط، وأيضًا بعض التوسعات التي تتماشى مع الزيادة السكانية، أو بحثًا عن الذهب والبترول لإنعاش الاقتصاد لديهم، خاصة بعد مرور هذه الدول بأزمات اقتصادية حادة.

بدأت رحلته بصحبة ثلاث لتلك المهمة؛ الاختيار يقع على الأكفاء لتلك المهمات، كان محظوظًا باختياره وهو لازال صغيرًا وأقلهم رتبة، لم يكن الحظ وحده من سهّل ذلك، بل كانت هناك أمور أخرى.

بعد أن ماتت أمه وهي التي كانت له العالم كله، اختار أن يكمل حياته داخل مقر عمله بالجيش لا يغادر، وكيف يغادر ولمن؟

للخال الذي رفض أن يعطي أمه حقها في ميراث والديها، أم للعم الذي استولى على كل شيء بعد وفاة والده وأمام أعين جده،

في إجازة عيد الفطر المبارك علم أحد القادة بأمره؛ فأرسل يسأله عن سر مكوثه، بعد أن علم القائد بأمره حدّثه عن ابنته الضريرة، لكنّه لم يخبره بموضع الضرر.

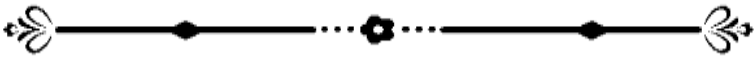

"إذا رأيت مهمومًا يبث همه كأنه يفتح لك الباب لتنفث عمّا بداخلك"

منزل القائد

في إحدى المدن الجديدة المحاطة بأسوار عالية، يسكن القائد في منزله المستقل، لا أحد يشاركه فيه، هيئته كهيئة جميع المنازل من حوله، يتكون من طابقين، يعلوه سقف بصورة مظلة، يوجد أمامه حديقة صغيرة.

كان القائد على موعد مع أحمد بعد أن وجّه له دعوة عشاء من أجل التعارف، واقترح عليه الزواج منها.

وصل أحمد عبر سيارة من السيارات الخاصة بالنقل داخل المدينة، عند نزوله وقف بالباب وضغط زر الجرز، تحدث معه القائد وبعد أن علم أنّه هو أمره بالدخول وفتح الباب إلكترونيًا، ترجّل أحمد عبر ممرٍ يتوسط الحديقة، كانت ابنة القائد جالسة في الناحية اليسرى منه تمزح مع غيرها، كلّ هذا شاهده أحمد بطرف عينه ولم يلتفت.

عند نهاية الممر كان في انتظاره القائد عند وصوله تصافحا وخيّره، واختار أحمد الجلوس في الحديقة في الجهة المقابلة.

بدأ القائد يسرد أسباب ضرر ابنته، وأحمد منشغل بالنظر بطرف عينه لها، ينتقل من النظر لشعرها المتطاير في الهواء يداري عينيها اللامعتين كالذهب في زهوّه، ترفع أصابعها النحيفة تتخلل شعرها ترفعه، وكأنّها تكشف عن ضياء بدرٍ في تمامه، قطع شروده صوت القائد يدعوه للطعام

بالداخل، قاما معًا أما هي اتكأت على من كانت معها، وبدأت بالسير وهي تجرّ ساقيها، حينها أخبر القائد أحمد بأنّ ابنته تعاني من شلل الأطفال، لكن هذا لا يعيقها في أي شيء إلا الحركة؛ هي في أغلب الأوقات تعتمد على نفسها، وأكملت دراستها على أكمل وجه، بعد تناول الطعام جلسوا معًا لتناول القهوة، أثناء ذلك تبادل الحوار معها وهو يتحسس جسدها، النصف العلوي كنخلة شامخة طرحها رمان بارز، ظلّ أحمد هكذا حتى قطع شروده صوت القائد يدعوه لجلسة خاصة بمكتبه بعيدًا عن الجميع، وهناك خيّره وأعطاه كامل الحرية بالزواج من ابنته.

وافق أحمد وبدأا يتفقان على أمور الزواج، لم يكن هناك اختلافات إلا في المكوث في منزل القائد، وبعد مداولات اتفقا شرط أن يكون أحمد هو المتكفل بزوجته في كلّ شيء.

قرر أحمد الزواج إيمانًا بأنّ حقيقة المرأة في كلّ امرأة، والاستمتاع بالزواج لا يعوقه أقدام هزيلة، وجاءت موافقته بالمكوث في منزل القائد رأفة بالوالدين وبها.

طلب أحمد بعد ذلك من القائد أن يتوسط له بالخروج في إحدى البعثات الدولية لمدة عام، حتى يستطيع التكفل بكلّ شيء، وافقه القائد وبعد أيام بشّره بوجود بعثة قوات حفظ السلام متجهة لإحدى الجزر لمدة لا تزيد عن عام، وأنه سوف يبحث له عن مكان، أيقن أحمد أنّ القائد يستطيع وتذكر ما

حدث في الماضي؛ الحسنة الوحيدة التي فعلها جده هي أن دفع لأحد الضباط مبلغًا كبيرًا لقبوله بالجيش، وقد كان.

بعد أيام أرسل القائد يبلغ أحمد بإدراج اسمه في قائمة البعثة وبموعد السفر، وبعد أن انتهى أخبره بشيء آخر – مرض جده- وأنّه يريد رؤيته خاصة أنّه في لحظاته الأخيرة، وقتها أشفق قلب أحمد على جده وشعر بالحنين نحوه فلبّى النداء.

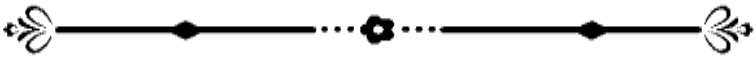

"الاستمتاع بالنساء يختلف بين الرجال، فهناك من يجيد السباحة في عمق البحار، وآخر يكتفي بالنظر"

المستشفى العام

في إحدى المدن الصغيرة وسط شوارع مزدحمة بالسيارات وغيرها وصل أحمد مساءً إلى المستشفى العام حيث كان جده، وجده ملقى على سريره يعد أنفاسه الأخيرة، لكنّه ابتسم عندما رآه رغم أنّه لم يتحدث، مسح أحمد برأسه وأمسك بيده يقبلها، واستدار للواقفين حوله يسألهم: منذ متى وهو هكذا، وأين الأطباء؟

أخبره أحد الواقفين: يحتاج إلى بعض الإجراءات ومازال ينتظر حتى يأتي دوره.

سخر من حديثه وأردف: ماذا ينتظر؟ بهذا الشكل هو ينتظر الموت.

قال ذلك ودار يسأل: أين مدير المستشفى؟

قالها ثائرًا، والتفت إلى عمه وهو يقول: ألم يكن معك مال لتذهب به للمستشفيات الخاصة؟

جاءت فتيات التمريض إثر صيحاته؛ يحاولن تهدئته متعللات بنظام العمل، المدير ومعظم الأطباء موعدهم في الصباح، المتاح الآن طبيب حديث التخرج.

جذبه عمه إلى الخارج مدافعًا عن نفسه بأنه لم يبخل بشيء قط، الحقيقة أنّ جده في أيامه الأخيرة، هذا ما قاله الأطباء.

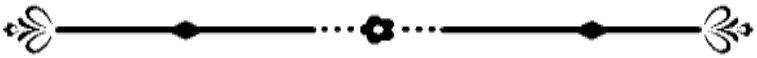

سمع أحمد ما قاله عمه ولم يلتفت إليه، تركه وابتعد قليلًا واتصل بالقائد لعلّه يجد له مخرجًا أو أي وسيلة لنقله لإحدى المستشفيات الكبرى.

بعد أن فرغ من الاتصال، لم يمر من الوقت الكثير، جاء المدير ومعه مجموعة من الأطباء بعد منتصف الليل بساعة، لكن هذا لا يمنعهم من عمل اللازم من أشعة وتحاليل، لكن ليس قانون العمليات والله بقانون الواسطة، وبعد مداولات قرروا إجراء عملية في الصباح الباكر.

انتظروا حتّى تشرق الشمس ويهل عليهم يوم جديد، لكن يبدو أنّ جده ليس له نصيب فيه، مات مع دقات الخامسة فجرًا، مات آخرهم، آخر من كان يحنو عليه.

"أوقات كثيرة لا نشعر بقيمة الأشخاص إلا بعد الفراق"

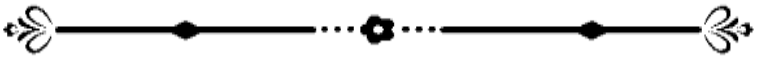

القرية (بلدة أحمد)

انتهوا من كلّ الإجراءات اللازمة لاستخراج تصريح الدفن، ومن بعدها الوصول لبلدتهم الصغيرة التي تبعد عن المدينة خمسة كيلو مترات، عدد المساكن فيها قليل أغلبها مساكن بدائية تطل على ترعة صغيرة على جسريها أشجار طويلة تحجب الشمس عن الطريق المجاور، طريق ترابي ضيق، خلف هذه المساكن أراضي زراعية بمساحات واسعة، عند وصولهم وجدوا عمالًا قد سبقوهم إليها، النظافة والإنارة وبعضًا من رجال الشرطة، السبب وراء كل هذا، حضور القائد ومعه السيد المحافظ للعزاء، انتهى العزاء، وقد تغيرت نظرة الناس ومعاملتهم نحو أحمد.

لكن لا يهم نظرتهم قديمًا أو حاليًا ما دام راحلًا هكذا حدث نفسه.

عاد إلى وحدته بالجيش، تحدث مع القائد في بعض الأمور وشكره على ما فعله.

وكان رد القائد أنّ هذا واجب الجيش نحو أبنائه.

قال ذلك وابتسم ابتسامة خفيفة أتبعها بحديث:

عجبًا لهؤلاء الناس يحقدون علينا وعلى ما نحصل عليه كراتب شهريّ وفي الوقت نفسه يدفعون المبلغ نفسه أو أكثر لمطرب أو مقرئ في ساعة.

"نحن لا نجيد النظر لأنفسنا، من أجل هذا خلقت العين بجوار العقل"

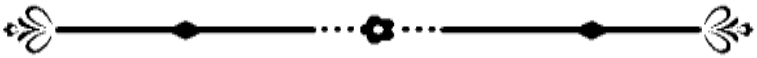

بداية الرحيل

لم يكن موت جده آخر الأحزان قبل أن يسافر؛ بل كان موت خطيبته الفاجعة الكبرى.

لم تكن الأيام كافية حتى يعشقها أو تجعله يتألم لرحيلها، لكنّها في الوقت ذاته كانت الأمل لمستقبل نسجت خيوطه داخله آمالًا بدأ يلملمها بيده، ومع موتها تهتكت تلك الآمال، لم يبقَ منها إلا طريق السفر.

"مسكينة تلك الفتاة؛ عندما أتتها الفرصة للحياة تركتها ورحلت"

بعد أيام قليلة من موتها سافر مع رفاق ثلاثة عبر سفينة ضخمة تبحر بهم وسط المحيط الهادئ، تحتاج إلى ثلاثة أيام بلياليهم حتى تصل إلى وجهتهم.

قضى أحمد أول يوم في غرفته بالداخل لم يخرج إلا لطعام، في اليوم التالي وجد من يطرق الباب، فتح له فوجد أحد الأصدقاء الثلاثة - عادل إبراهيم - (أبو روان) يحب أن ينادى بهذه الكنية، كان أكبرهم في العمر، وفي الجسم أيضًا، في وجهه الوقار والجدية، تستشف بين نبراته الالتزام، طلب منه الصعود وبالفعل صعدا معًا إلى سطح السفينة، واتجها نحو رجلين يجلسان عند مقدمتها، أحدهما يمسك صنارة صيد والآخر يجلس فوق أرجوحة تداعبه في الهواء.

عندما اقتربا منهم تحدث إليهم أبو روان:

- يا شباب لقد جئت به إليكم فهل من مرحب؟

- التفتَ له من يمسك الصنارة، شاب نحيف، وجهه طويل ذو جبهة عريضة، يغطي رأسه بقبعة صيد، عيناه واسعتان لونهما عسلي، بشرته بيضاء تميل للاصفرار، اسمه – سمير - طلب من أحمد الجلوس بجواره لعلّ وجوده يأتي بسمكة قرش كبيرة، ويكون الخير على قدوم الحاضرين.

- هَمَّ الآخر بالاعتدال من جلسته ورفع رأسه، شاب أنيق، بشرته بيضاء، عريض المنكبين، بعد أن همّ من جلسته قال:

- وقتها يتبدل الحال؛ لا تستطيع جذبها نحو السفينة فتنزعك هي من بيننا نحو المحيط، وبدل أن نطعم بها تكون أنت طعام لها، قال ذلك وتابع بضحكات متقطعة.

- رد سمير إذا مت الآن خير لي، وإذا أكلتني سمكة خير من أن يأكلني بشر.

- تابع الآخر ضحكاته وأردف: في كلتا الحالتين ميت، ميت، قال ذلك والتفت لأحمد قائلًا: دعك منه وتعالَ اجلس مكاني وتمتع، بقي لنا يومان على سطح السفينة ولا أحد يعلم ماذا يحدث بعد؟

- نظر أحمد نحوهم بقلق وهو يقول: وما ظنكم سوف يحدث؟

- قال الاثنان معًا، لا علم لنا هذه أول مرة مثلك.

- قطع الحديث أبو روان: اصمتا، سمير ركز فيما تفعله، وأنت يا خالد كفاك لهوًا.

علم أحمد أنّ الآخر اسمه خالد، سمع أبو روان يناديه بذلك؛ حيث إنّ خالد جاء إلى السفينة قبل أن تبحر بثوانٍ قليلة، وقتها كان أحمد استقر في غرفته.

تابع أبو روان حديثه: لا شيء يدعو للقلق حتى ولو كانت الجزيرة كذلك.

حينها دار برأس أحمد سؤالٌ: أين نحن ذاهبون، وإلى أين مصيرنا؟

لكن إذا كان الأمر كذلك لِمَ لمْ يرفضوا هذه البعثة؟

لم يكن أحمد يعلم أنّ للحظ دورًا أساسيًا في الاختيار لتلك المهمات، فقط عليك أن تتقدم للحصول على فرصة للسفر، والمكان يحدد بعد ذلك، وهناك بعض التدخلات الأخرى.

لاحظ عادل الارتياب على وجه أحمد فحاول طمأنته قائلًا: لا أحد يعلم طبيعة هذه الجزيرة غير أنّ الدول الكبرى تتنازع عليها، وقبل النزاع كان هناك تعتيم على طبيعتها وطبيعة شعبها. أما المعلومات الرسمية أنّ هناك نزاعًا بين القبائل ومهمتهم حفظ السلام والإشراف على المرحلة الانتقالية وعودة الهدوء، قال ذلك واستطرد: حتى وإن كان بها مخاطر ليس لهم دخل في ذلك؛ مهمتهم حفظ السلام والاختلاط بهم ممنوع منعًا باتًا، قال له ذلك وبدأ يسرد له طبيعة العمل في مثل هذه البعثات وأنّها تختلف من شخص إلى آخر هناك من جاء للإصلاح المدني وإقامة بعض المنشآت وسد بعض

الاحتياجات، وهناك من له دور عسكري فقط، وهو الوقوف على الخط الفاصل بينهم، لا يميل لأي طرف من الأطراف المتنازعة وهم تابعون لهذه الفئة.

استمر الحوار بينهم حتى قطعه صوت سمير يهلل: لقد فعلتها، فعلتها.

التفتّوا نحوه في دهشة قطعتها قفزة خالد مسرعًا نحو سمير وهو يقول: لقد صدق، هذا الصيد على شرف أحمد. وبعد مرور بعض من الوقت استطاعا إخراج السمكة إلى السفينة، وكانت وليمة لهما ولمن أراد مشاركتهما في الطعام من الركاب.

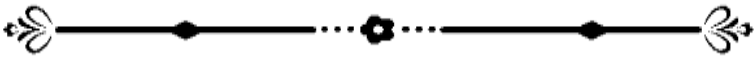

"عند بداية التعارف بأصدقاء جدد دع الأيام تختار من بينهم صديقك المقرب"

بداية الوصول

في فجر اليوم الرابع وصلوا إلى إحدى الموانئ، لم يمكثوا فيه طويلًا؛ جاء زورق يستقله رجل وسيدة، مكث الرجل في الزورق ونزلت السيدة متجهة نحوهم، لا تبدو من هيئتها أنها تنتمي لأية قوات عسكرية، تلبس سروالًا أبيض، وما فوقه باللون نفسه وعليهما رداء أسود، عيناها واسعتان تشبهان رداءها، شعرها طويل خمري يعانق الرياح كموج المحيط، وجهها منير كبدر يشق الظلام في وسط البحار، طويلة القوام، تمشي بخطى ثابتة عندما اقتربت منهم نظرت في الأوراق التي تحملها، ثمّ عاودت النظر إليهم قائلة: **welcome.**

بعد تبادل التحايا اتجهوا معها إلى الزورق عائدين مرة أخرى إلى المحيط، أثناء الإبحار جلست تروي لهم بالإنجليزية طبيعة العمل تارة وطبيعة المكان تارة أخرى، عند الاقتراب من الجزر أشارت نحوها ليلتفتوا إليها، من بعيد تشعر أنّها جزيرة واحدة تغمرها الأشجار والجبال عن بعد تظهر كنقاط رملية، لا ترى شيئًا داخلها، وكأنّ النهار ما تخللها يومًا.

تابعت السيدة السرد وشرح طبيعة المكان، تلك البقعة ثلاث جزر جزيرتان منهم كبيرتان والوسطى أصغرهم في المساحة وهي أرض العمل،

مهمتهم هي الفصل بين الجزيرتين، وأشارت بيدها على إحداهما وقالت هذه أشرهما؛ الداخل فيها مفقود وليس من بينها خارج، منغلقون على أنفسهم.
وصلوا إلى الجزيرة الوسطى وجدوا رجلًا ضخمًا في الانتظار، أفريقي اللون، يلبس نظارة شمسية، غليظ الصوت، شعره مجعد ثقيل، يبدو أنه القائد - جنسيته أمريكية - ليس لهذا السبب هو القائد؛ قانون الأمم المتحدة ينص على أن يكون القائد من الأكثر عددًا في البعثة.
بعد أن رحّب بهم ووجّه بعض التعليمات راح يحذرهم هو الآخر من تلك الجزيرة.
ذهبوا من بعدها إلى مقر القائد، خيمة من الخارج لكنّها من الداخل أشبه بفندق للشخصيات الهامة؛ بها كلّ ما يلزمك من متاع وطعام.
بعد ذلك ذهبوا إلى مخيمات الإقامة عند دخولهم ألقوا بأنفسهم فوق أريكة كبرى بالداخل من نصب السفر، بعد قليل قال خالد وهو يمزح:
- استمتعوا بالبحر والمكان قبل أن يلتهمنا سكان الجزيرة.
- قال أحمد: إي والله حق، المكان يشبه الجنة.
- قال سمير مازحًا: وها أنت رأيتها، محظوظ أنت رأيت الجنة قبل أن تموت، عكس الطبيعة.

بادله خالد المزاح: نعم من مات في عمله فهو شهيد ويستحق هذه الجنة.
انتهى الحوار بينهم واتجه الجميع إلى النوم، أما أحمد ما زال يفكر ويسأل نفسه ماذا عن الجزيرة الأخرى وما بها؟ خاصة أنّهم لم يتحدثوا عنها.

" نخطئ أحيانًا عندما نؤمن بالبدايات، هناك أشياء مرة المذاق وبها منافع كثيرة"

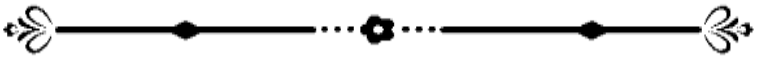

بداية المهمة

في ثاني يوم استيقظوا مبكرًا، بعد وجبة الإفطار تم تقسيم العمل، فكان عمل أحمد وسمير مساءً وخالد وأبو روان نهارًا.

كانت حجة القائد أنّ جميعهم واحد لا اختلاف مهما اختلفت الأجناس، لابد من التأقلم والتعود على كافة الأوضاع.

ذهب خالد وأبو روان ومكث أحمد وسمير لا شيء يفعلانه غير النظر للشجر والبحر ولروعة المكان يحوطه الجمال والسحر من كلّ جانب، لكن لو استمر الوضع هكذا من المؤكد يصيبك الملل، مرت الأيام بنفس الوتيرة لا جديد يذكر، العمل بالتناوب أسبوعًا في المساء وآخر بالنهار.

كان سمير يعشق البحر ويفكر في الصيد دائمًا؛ لذا كان الشاطئ هو الملاذ الوحيد ووجهتهم لكسر الملل، لكن الاستمرارية لا تساعد في ذلك لابد من التغيير والبحث عن شيء آخر.

وفي مرة جاءتهم السيدة التي كانت في استقبالهم تناديهم بأسمائهم، بعد أن التفتا إليها قالت: لابد أنكما تشعران بالملل وتبحثان عن جديد.

ابتسما لها قائلين: نعم، وتابع سمير متحدثًا لصديقه وهو يفتح ذراعيه للهواء: أعطني صنارة ومركبًا مع هذا المكان ولا أريد شيئًا آخر...

سألته السيدة: هل تعشق الصيد؟

التفتا نحوها محدقي العينين، لقد قالها سمير بالعربية فكيف فهمت ما يقوله؟

لاحظت دهشتهم فضحكت وتحدثت باللغة العربية لأوّل مرة: أنا مصرية.

قال سمير ضاحكًا: نعم، ولِمَ كلّ هذا، النبيّ عربيّ.

رجعت للإنجليزية مرة أخرى **what** ، ماذا؟

أتبع سمير كفاك استخفافا بعقولنا.

قالت باللغة الإنجليزية: أنا لا أفهم ما تقوله، أنا من مواليد أمريكا وأحمل الجنسية الأمريكية، لكن أصولي مصرية.

سألها أحمد: وماذا عن اللغة العربية؟

أجابت باللغة العربية: قليل.

ضحك سمير وأتبع: كثير أم قليل؟ وأردف: معنا سوف تكونين من أبناء السيدة.

ابتسمت على ابتسامتهم، رغم أنّها لم تفقه مزاح سمير.

أصبحوا بعد ذلك أصدقاء وعلموا منها اسمها - ألين – أظن أنّ هذا الاسم عربيّ، ألين أكثر لينا.

مرت الأيام وكل يوم يمر يشبه ما قبله حتى بمساعدة ألين؛ جاءت بصنارة ومركب لهم، وأصبحت لا تفارقهم تذهب معهم في المركب أحيانًا وتحاول أن

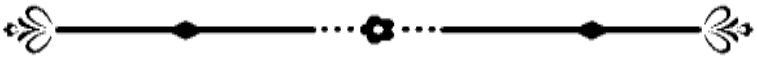

تتعلم من سمير الصيد، وأحيانًا يتركهم أحمد معًا ويختار الشاطئ مكتفيًا بمشاهدتهم.

بدأت ألين تتقن العربية أكثر غير أنها تتقن أكثر من لغة، توطدت العلاقة مع سمير أكثر من أحمد القلب وما يريد، بالطبع انشغلا عنه وأصبح وحيدًا.

" في الوحدة إما أن تأسرك الهموم، أو تبحث لك عن بديل"
في مثل هذه الظروف تمر الأيام دون أن تدري في أي يوم تعيش.

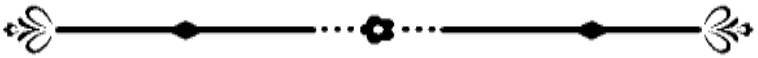

زيارة ترفيهية

في وقت الراحة يذهب سمير مع ألين تاركين أحمد خلفهم وحيدًا، فقرر التجول داخل الجزيرة رغم التحذيرات.

مع التجوال هناك مناطق محذورة؛ لقربها من الجزيرة الأخرى؛ الفاصل المائي فيها ضيق، وأهل هذه الجزيرة عدوانيون للغاية والبعد عنهم غنيمة، هذه المبررات يسمعها أحمد من الجميع، حتى ألين، حاول أحمد كثيرًا الاستفسار، لكن لا جديد، النهج نفسه كأنّهم جميعًا لقنوا بهذا الحديث كما يلقن أحمد اليوم، وكما سيلقن من يأتي بعده في الغد، سوف يروي هو بنفسه كلّ هذا.

مرت شهور فقدت خلالها الجزيرة جمالها وأصبحت سجنًا له سياج من أسلاك شائكة وبحارًا ومسافة كبيرة بينه وبين العالم الآخر، تشعر وكأنك بمنفى.

حاول الخروج بأية وسيلة فإذا كانت إحداهما مستحيلة فلمَ لا يذهب إلى الأخرى؟ طلب من ألين ذلك بما أنها مبعوثة للأمم المتحدة لدراسة طبيعة الأماكن وأهلها، لكن فاجأته ألين بأنّ هذه الجزيرة خاضعة للوصاية الأمريكية وغير مصرح لأي جهة أو شخص دخولها إلا بتصريح.

سألها: وهل يجوز له الحصول على هذا التصريح مبررًا لها حالته.

قالت: نعم، وبعد أيام جاءت تخبره بوفد لزيارة الجزيرة وهو معهم، وفي اليوم التالي ذهبوا لزيارتها، تلك الجزيرة عدد سكانها قليل، قاطنين في مساحة صغيرة منها وباقي المساحة خالية، تغمرها الجبال والأشجار.

الغريب أن أهل الجزيرة أغلبهم مسنون، كانوا سعداء بوجودهم، أو هكذا يبدو؛ فزع الأطفال عند رؤيتهم فاختبئوا منهم ولجؤوا لأماكن تخفيهم عن الأعين، كل هذا يثير التساؤلات، لكن لا جديد يذكر، ما تسمعه من الأصدقاء والقادة هو ما تسمعه من أهل هذه الجزيرة.

مرت شهور على هذه الحال، وانتهت مدة البعثة وحانت العودة، طلب سمير البقاء وتوسطت له ألين في ذلك وبقي أن يوافق الجيش المصري على التجديد، وكان القانون له حد أدنى في البعثات على الأقل اثنين، فقرر أحمد أن يكون الثاني، فضل البقاء رغم الملل الذي يعانيه، المكوث هنا أفضل بكثير من العودة، الفارق ليس بكبير هنا وهناك هو وحيد.

"الوحدة في بلاد الغربة أفضل بكثير من أن تصبح غريبًا بين عشيرتك"

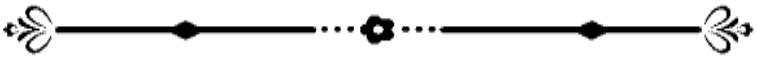

اللقاء الأول

تزوّج سمير من ألين التي أصبحت تتقن العربية إلى حدٍ ما، وتعلمت أغلب العادات العربية على الأقل كزوجة، أما أحمد ما زال يبحث عن جديد، وفي يوم قرر التسلق إلى إحدى المناطق المحظورة لعلّه يجد جديدًا، أو يعثر على إجابة لبعض التساؤلات بداخله.

نجح في اختراق الحواجز ليلًا والوصول إلى منطقة خالية تمامًا، مظلمة؛ يطلُّ عليها بصيص من ضوء القمر وكان هلالًا، تغمرها الأشجار ويسودها الهدوء، تزورها الكشافات المضيئة عن بُعد من المعسكر كل حين، كان يختبئ منها تحت الأشجار، في النهاية اختار لنفسه شجرة يجلس تحتها في كلّ زيارة له؛ لعلّها تصبح كشجرة موسى عليه السلام، التي كانت نقطة البداية لحياة جديدة في أهل مدين.

أحبَّ القراءة والاطلاع بعد أن أهدته ألين كتابًا، كان بعنوان الجمهورية (المدينة الفاضلة) أوّل كتب الفلسفة في التاريخ أو ما قبل التاريخ؛ هي الوحيدة تقريبًا التي نجت في هذه العصور لتصل إلينا، كاتبه أفلاطون تلميذ سقراط النجيب، معظم مؤلفاته نقلًا عن محاورات معلمه، حلمه المدينة الفاضلة التي بناها في تخت خياله، شارك المرأة في كلّ شيء لم يختزل حقها، بحث فيها عن العدالة؛ العدالة من وجهة نظره هو ومعلمه، أنّ كلّ فرد في

المجتمع ينشغل بما يخصه ولا يتطرق لعمل غيره ولا شؤونه، ومنع الاختلاط بين طبقات المجتمع، النجار يظل نجارًا هو وعائلته، الحكم يورث وتكون هناك طبقة منتقاة، رجالها ونساؤها يكون منها الحاكم، واستشهد بذلك بالجسد؛ كل عضو فيه يعمل ما يخصه ولا يجوز الاختلاط بينهم، وإذا حدث تعم الفوضى، يحل الخراب وتكون النهاية.

كتاب جميل وحلم أجمل، أفلاطون تأثر كثيرًا وتعلم على أيدي كهنة مصر بعد موت سقراط، كم أنت عظيمة يا مصر.

ما زال أحمد يزور تلك الشجرة في ذلك المكان المحظور، وفي ليلة ذهب إليها ومن الهدوء ونقاء الهواء راح في غفوة، وبعد قليل استيقظ منها على صوت شيء يخطو بين الأشجار، أخذه الشغف ظل يبحث بين الأشجار فوجد هذا الشيء يهرول أمامه حتى اختفى، وقف يفكر هل كان هناك شيء أم أنها بداية لهواجس داخله؟ فجأة شعر بشيء يربت على كتفه، سيف أو يشبه ذلك، هكذا يشعر به، التفت له ببطء وجده رجلًا يخفي ملامحه بوشاح لا يظهر منه إلا عيناه، وكزه هذا الرجل مرتين بسيفه وبرفق، فهم من خلالهما أنه يطلب منه أن يجثو على ركبتيه، فعل ما يريده، ثم أشار له الرجل مرة أخرى بإشارة تعني امكث هنا ولا تأتي خلفي وإلا قتلتك، وعندها سحب سيفه للإشارة على رقبته بأنه سوف يذبحه لو خالف أمره، انقض عليه أحمد ممسكًا السيف وحكم قبضته على السيف وعليه، لكن

لم يحالفه الحظ وقعا معًا وانحدرا نحو الماء، عند الوقوع تخلص كلّ منهما من الآخر، وأصبح السيف مع أحمد، أشهره نحو الرجل وكانت المفاجأة سقط الوشاح وكشف عن وجهها، أسورة من فضة، عيناها ذهبيتان تعكسان نور الشمس، نعم ليست رجلًا بل فتاة في ريعان شبابها، متوسطة الطول، جسدها متناسق، لوحة فنية ترى البحر فيها والسماء، عند رؤيتها تلجلج في الكلام وحاول التهدئة والاعتذار، أما هي وضعت يدها في حقيبة من القماش صغيرة مخيطة في ملابسها وأخرجت قطعة من الذهب، وقع منها شيء آخر أثناء ذلك لم تلحظه، حاولت أن تقدم له قطعة الذهب.

قال لها وهو يترجم كلماته بإشارات وهو يلوح بالسيف لعلّها تفهمه: أنا لا أريد منك شيئًا.

نظرت إلى السيف وتقهقرت إلى الخلف خطوتين، لاحظ أحمد ذلك فألقى بالسيف بعيدًا وحاول الجلوس أملًا أن تهدأ أو تجلس بجواره، في هذه اللحظة انتهزت هي الفرصة، أخذت السيف وقفزت إلى المحيط وغاصت، بعد دقيقتين ظهرت على الشاطئ الآخر؛ لقد وصلت إليه في وقت قصير جدًا، عندما خرجت من المياه استدارت لؤلؤة مرجانية تشع نورًا ومع المياه المتساقط زاد بريقها، ظهرت مفاتنها كأم الفواكه، الخد تفاح من الصنف الأمريكاني وإذا تابعت النظر لما هو أسفل ترى حبات المانجو قد نضجت واستوت.

بعد أن وقفت استدارت نحو أحمد مبتسمة، لا علم لنا هل هي ابتسامة الانتصار بالخلاص، أم أنها شعرت بما شعر به قلب أحمد عند النظرة الأولى.

بعد ثوانٍ قليلة من النظر انتبهت لحالها وجلست تفتش في حقيبتها وتنظر إلى الأرض تحتها تارة وإلى البحر تارة أخرى، أيقن أحمد وقتها أنها تبحث عن الشيء الذي سقط منها، عاد باحثًا عنه ووجده، صحيفة من عدة صفحات يتوسطها خريطة لشيء ما، كلّ هذا لاحظه في نظرة مختلسة أثناء عودته للشاطئ مرة أخرى، رفع يديه يناديها بأنّ الشيء الذي فقد منها معه.

لملمت شعرها بيدها وهي تنظر له وتطأطئ رأسها، هنا شعر أحمد بأنّه سوف يكون بينهم لقاء آخر.

ذهبت واختفت بين الأشجار وعاد أحمد وكله خشية أن يراه أحد خاصة أن الشمس غمرت الجزيرة، تسلّل من حيث أتى ونجح في العبور دون أن يشاهده أحد.

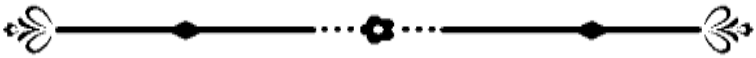

"ليس للحب لغة في قاموس اللغات، إنما إشارات وموجات تمس القلوب"

سر الصحيفة

بعد عودته التقى مع سمير وسأله عن ألين وعلم أنها في مقر الإرسال والمعلومات، ذهب إليها على الفور، استوقفه الحرس عند باب المقر؛ ممنوع الدخول لغير العاملين، وقف بالباب وطلب استدعاءها.

جاءت وعلى وجهها القلق تسأله عن سمير.

أخبرها أنه بخير ولا شيء يدعو للقلق، كلّ ما في الأمر أنّه يريدها في أمر آخر.

سارا معًا نحو الشاطئ في صمت، وكانت هي تنتظر منه الحديث حتى وقفت جاذبة ذراعه وهي تقول: هل جئت بي لكي أسمع صمتك؟

- قال لها ما في الأمر وطلب منها أن تعاهده ألا تخبر أحدًا قط بهذا الشيء حتّى سمير، أعطاها الصحيفة بعد ذلك لكي تتنقل بين طياتها، حدّقت عيناها وانتابتها الدهشة، طلبت منه أخذها للدراسة هي وفريق عمل بالجزيرة لكنّه رفض، ألحت عليه متعللة بأنّها لا تعلم ما في الصحيفة لأنها مكتوبة بإحدى اللغات القديمة، خاصة أنّ أهل هذه الجزيرة لا يتعاملون ولا يتحدثون مع غريب قط، قالت ذلك واستطردت: لكن هذه الصحيفة بها حروف وكلمات تمكن لنا معرفة ذلك وما دام هناك احتمالية إذًا الأمل قائم، ولن نيأس.

- ساعدته ألين بعد ذلك بالوصول لبعض الشخصيات القديمة، لكن لا جديد، حتى جاء يوم جاءت معها رجل مشعوذ يدعي السحر، علم منها أنه من أهل المكان لكنه شرد منهم عقلًا وجسدًا، كان طويل القامة عريض المنكبين، له لحية تملأ وجهه، غير أن غبار السنين تخفي ملامحه، جلس معه يسمعه وهو يتلفظ بعبارات إنجليزية وأخرى عربية ولغات لا يعلمها أحد ويرتل آيات من الإنجيل (الربّ راعٍ فلا يعوزني شيء) وأخرى من القرآن (وإذا مرضت فهو يشفينِ).

أخرج أحمد الخريطة للرجل؛ لعلّه يخبره ما فيها أو أي شيء ولو قليل، عندما رآها هذا الرجل زام واقشعر وجهه وانتصب واقفًا، استدار نصف استدارة، ثمّ نظر إلى السماء وهو يصيح بأصوات غير مفهومة، هلع أحمد وألين من تصرفه، وقفت ألين على الفور تسأله ما به، عاود الرجل النظر مرة أخرى إلى أحمد وهو يزأر، انتاب أحمد القلق والخوف الشديد، وقف مسرعًا خشية ما قد يصدر عنه من أفعال، نظر له الرجل وهو يكتم غيظه، ثمّ فضل الذهاب بعيدًا رافضًا الحديث.

هنا أدرك أحمد قيمة الخريطة وأنّ هناك شيئًا آخر؛ هذا الرجل ليس معتوهًا.

طلب بعد ذلك من ألين استدراك هذا المشعوذ مرة أخرى للحديث عن الأشياء المحيطة، البحر والأشجار والسماء، تجعله يتحدث بكل اللغات التي يستخدمها، وبالتالي يقومان بتسجيل هذه المحادثة، ثمّ ينتقيان بعض

الألفاظ الغريبة لعلّهما يصلان لأي حروف تمكنهما من فك هذه الطلاسم.

نجحا في ذلك ووصلا لبعض الألفاظ لأنها بعيدة عن أغلب لغات العالم، وتشبه اللغة السواحلية، لم يكن أحمد يعلم عن هذه اللغة شيئًا لكن ألين أخبرته بأنها لغة خاصة بأهل السواحل والجزر، علم منها أيضًا أنّ هذه اللغة تضم بعض العبارات العربية وبنفس المعنى تقريبًا، لكن بحروفهم ولهجتهم.

تأكد أحمد أنه في المسار الصحيح، رجع لتلك الشجرة يتحسس رؤية الفتاة؛ عساها تأتي لقد اشتاق إليها، مر يوم والثاني وهو يتردد على نفس الشجرة، عند إشراق اليوم الرابع اتكأ على جذع الشجرة وأغمض عينه وبعد قليل استيقظ على صوت سقوط شيء بجانبه، كأن شجرة اقتلعت من جذورها وطرحت أرضًا بجانبه، انتبه من غفوته وإذا برجل ملقى على وجهه، وقد أصابه رمح في مقتل من الخلف، يداه مبسوطتان أعلاه وفي آخر إحداهما سيف وقد لفظ أنفاسه، يبدو أنه كان يخطط لقتله.

نهض أحمد واقفًا وهو يسأل نفسه: من أنقذه؟

قال لنفسه: هي، نعم هي من غيرها، طاف بالمكان مسرعًا وهو يتحسس كل شيء لكنه لم يصل لشيء، وقف في مكانه وأخرج الخريطة يلوح بها وهو يدور حول نفسه قائلًا: أعلم أنك هنا معي الخريطة أحتفظ بها لأجلك.

ظل يفعل ذلك مع العلم أنها من الممكن لن تفقه قوله، لكنها تريد الخريطة بكل تأكيد، ظل هكذا حتى فقد الأمل لرؤيتها، رجع للشجرة والرجل الملقى على الأرض، مال نحوه يعدله حتى يرى وجهه إنه المشعوذ، اقشعر وجهه عند رؤيته وانتابته الدهشة وعند استقامته مرة أخرى وجد سيفًا من خلفه يربت على خاصرته وصوتًا عذبًا يحدثه بعبارة لم يفهمها، أيقن أنها هي ومن المؤكد تطلب الخريطة.

أخرج الخريطة ورفعها عاليًا وهو يلتفت إليها، مدت يدها لتأخذ الخريطة وهي أقصر منه قليلًا من أجل ذلك دنت منه قليلًا لأخذها، رغم أنها تحمل سيفًا وكانت تستطيع إجباره، لكنّها اقتربت منه لعلّ شيء يجذبها نحوه، في نفس اللحظة أمسك أحمد قبضتها التي تمسك السيف، رفعتها عاليًا ويده الأخرى ذهبت خلف خصرها تجذبه، هنا توقف الزمن وهدأت الأنفاس أصبح كل عضو في الجسد يتحدث مع نظيره حتى تنهد أحمد قائلًا: الخريطة لك لكني مشتاق لعينيك، أعلم أنك لا تفقهين حروفي لكن للعيون لغة موحدة بين جميع البشر، أرخت يدها التي كانت تحاول جذب الخريطة وبادلته النظر كأنها تفهمه، ابتعدا قليلًا عن بعضهما وتراخت الأعصاب لكن أحمد ما يزال ممسكًا قبضتها، ليس خشية العراق وإنما لا يريد الفراق، بدأ يترك لها الخريطة وأثناء ذلك حاوطهم مجموعة من العسكر ومعهم القائد، ظن أحمد أنهم جاؤوا من أجلها، وأيقن أنّها في خطر، أما هي تغيرت نظرتها للاشمئزاز، ظنت أنّ أحمد له يد في ذلك، في تلك اللحظة قام

بحركة دائرية ووضع رأسه على صدرها والسيف بيدها جعله فوق عنقه، انتابتها الدهشة فأصبحت تهمهم، لم تدرك ما فعله في البداية، لكنها استوعبت ذلك عندما ثبت العسكر في مكانهم بأمر من القائد الذي حاول الحديث معها.

أراد أحمد منها السير إلى الشاطئ، وهناك تتركه، وهو على يقين من أنه لن يلحق بها أحد.

لكن كيف التواصل وبأي لغة، ظلّ يردد كل الألفاظ الغريبة التي سمعها من المشعوذ الدالة على البحر، عند لفظ معين رددته خلفه وأومأت برأسها، تقدمت في السير نحو الشاطئ، كان هذا أول لفظ يفقهه أحمد.

عند الشاطئ قفزت القفزة نفسها ونجحت في الهروب، بعد ثوانٍ وقفت بالشاطئ الثاني تراقب ما سوف يحدث.

التف العسكر حوله وقيدوه من يده، عادوا إلى الوحدة ووجد أحمد نفسه متهمًا في قتل المشعوذ، عند خضوعه للمحاكمة وجهت له عدة اتهامات أخرى، اختراق الحاجز الأمني، إثارة الفتنة، كسر التعليمات والضرب بها في عرض الحائط، كل هذه الاتهامات، جاء الحكم المؤقت (حبس انفرادي).

في هذا المحبس راح أحمد يفكر فيما حدث، وما سوف يحدث: هم يخشونه لاقترابه من الحقيقة التي يجهلها الجميع، الحقيقة ليسوا ثلاث جزر، بل جزيرة واحدة، هكذا ظن أحمد بعد ما اتضح له ما في الخريطة، وساكنوها ليسوا بعدوانيين كما يقولون، في أول مرة أتته تلك الفتاة من الخلف وكانت

تستطيع قتله وفي الثانية أيضًا ولم تفعل، وأنقذته من القتل، بل وقتلت المشعوذ من أجله، فكر في كل ذلك وفي النهاية همهم قائلًا: الحقيقة ليست مكتملة.

يبدو هذا في اهتمام القادة بقتل المشعوذ، وأمر آخر يظنون أنه على تواصل مع أهل الجزيرة وتلك الفتاة هي همزة الوصل، وأنه نجح في استدراج المشعوذ إلى مقتله من أجلها.

أي صيد ثمين هذا؟

ومن هذا الرجل أليس بمشعوذ؟ أم له شأن آخر؟

كلّ هذه التساؤلات دارت في رأس أحمد وفي النهاية وجد نفسه محاصرًا بالاتهامات ولا خلاص، طالبت الأمم المتحدة بعد ذلك ترحيله إلى مصر والمثول أمام قضائها، رفض القائد في أول الأمر ولكنه رضخ للتعليمات بعد أن يئس في جذب أي معلومة، وهل لدى أحمد ما يريدون.

"ليس كل ما تسمعه أو تشاهده هو الحقيقة، ربما يُساق إليك الخبر لتكتمل الخدعة"

لحظات البعث

علم أحمد أنه سوف يرحل في أي لحظة، بعد يوم أو يومين، لكن هذا الأمل تبخر بكلمات القائد عند زيارته في منتصف الليل:

لا تظن أنك سترحل من هنا، أو أننا نتركك ومعك شيء نريده، واهم أنت؛ اعلم أنك لو رحلت سنترك أمامك خيارين، الأول هو الرحيل إلى الولايات المتحدة الأمريكية، والثاني تدفن هنا ومعك سرك، صمت قليلًا بعدها، ثمّ عاود الحديث: هناك أمر ثالث إذا أردت معرفته أخبرك؟

نظر له أحمد مشمئزًا ولم يتحدث.

هذا ما جعل القائد يكمل حديثه وهو يدور حوله: هذا الأمر يتوقف عليك؛ إما أن تكون معنا وإما الفناء.

أومأ أحمد برأسه، ثمّ استقام قائلًا: ليس لدي ما أخبرك إياه، بل أنتم لديكم ما أريد.

- سخر منه ضاحكًا يسأله: وما تريد؟

- لماذا نحن هنا؟

أكمل القائد ضحكاته الصفراء، وقبل أن يتحدث قاطعه أحمد:

- إياك أن تقول لحفظ السلام، الحقيقة غير ذلك؛ الحقيقة أنها جزيرة واحدة.

- انتبه القائد لما يقول وانتصب جسده ووكزه بيده في عنقه قائلًا: الحقيقة؟

قال ذلك وكرر: الحقيقة أنك سوف تفنى، ويُمحى معك كل شيء.

انتهى الحديث بعد أن ترك القائد أحمد في محبسه، أدرك أحمد حينها أنه لا عودة للديار؛ إما أن يرحل للولايات المتحدة الأمريكية، أو يدفن هنا.

مرت الأيام دون أن يعلم كم من الوقت مرّ! ولا يدري النهار من الليل؛ الشمس غابت منذ أن أتى إلى هنا.

وفي يوم عاود القائد الزيارة، لكنّه ليس وحده، معه مجموعة من الحرس، نظر أحمد لهم متسائلًا: هل حان وقت الرحيل؟

قال القائد وهو يطأطئ رأسه: نعم، لكنّه ليس كما تظن، بل هو الرحيل بلا عودة.

لم يستطع أحمد الصمت، فخرجت منه ضحكة يسخر من حديثه: ألا تستطيع أن تفعلها وحدك، لِمَ جئت بكل هؤلاء؟

بادله السخرية: على رسلك حتى يظهر الأمر طبيعيًا، الحقيقة أنّك حاولت الهرب وأثناء ذلك تمت تصفيتك.

قال ذلك وقيّده وأمر حراسه أن يحملوه على الأعناق، ثمّ ساروا به عبر ممر للمنطقة المحظورة قرب الشجرة، فك قيده وطلب منه الذهاب إليها، سار أحمد مترقبًا أي فعل، طعنة أو رصاصة.

عند وصوله للشجرة ناداه القائد؛ فالتفت له، فقال القائد: هذه الشجرة الشاهدة على لقائكما، وستكون شاهدة على فنائك، قال ذلك وأطلق

رصاصة من مسدسه نحو صدره، الغريب أن أحمد لم يشعر بألمها، لكنّه سقط بعد ثوانٍ بعد شعوره بشيء أصابه من الخلف.

وقع على الأرض ولم يدرك أي شيء بعدها، وهل الذبيح يشعر بشيء بعد ألم السكين؟

لا أظن... إلا يوم البعث أو في القبر للسؤال، هذا ما حدث، استيقظ فوجد نفسه ملقى على أريكة من الحجر في مكان لا شيء فيه غير قنديل بإضاءة باهتة، ترى هل هذه طاقة نور من الجنة؟ من مات دون أرضه فهو شهيد، والقبر أوّل منازل الآخرة، لكن ليس هذا بقبر؛ يبدو أنه كهف قديم، لم يستغرق كثيرًا في التفكير، سمع وقع أقدام تتجه نحوه وملامح امرأة تقترب منه، إنّها هي نعم، كيف حدث ذلك؟

اقتربت منه وهي تبتسم وحدثته باللغة الإنجليزية.

لم يفقه ما تقوله رغم إجادته للغة، تلعثم أحمد في الرد، عاودت هي الابتسامة وقهقهت، شعر أحمد أنّ الكهف اهتزّ، يبدو أنّ هذه الهزة جعلت به شقوقًا تخللتها الشمس ودخلت لتنير المكان كله.

عاودت الحديث معه مرة أخرى:

- ما بك؟

- قال بعد نظرة وبؤبؤ عينه غير مستقر: أنتِ تتحدثين الإنجليزية؟

- قالت ضاحكة: نعم.

- سألها مندهشًا: كيف؟

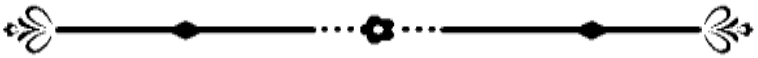

- ضحكت مرة أخرى وقالت: كما تراني.

- تابع أسئلته: ولِمَ كل ذلك؟

- قالت: نحن لا نتحدث مع غرباء.

- هنا هدأت روح ذلك وقال مبتسمًا: معنى ذلك أنّني، قال ذلك ولم يكمل، فأكملت هي:

- قالت بعد ابتسامة ملأت وجهها: قريب.

- نظر أحمد حوله يتفقد المكان، ثمّ سألها: كيف جاء إلى هنا؟ آخر ما يتذكره تحت الشجرة.

كانت إجابتها: بعد ما انتهوا منه أمروا الحرس بتولي المهمة، وعندما غادر القائد المكان، استلمت هي بدنه من الحرس.

- سألها متعجبًا: الحرس، كيف؟

- أخبرته: الذهب يا عزيزي.

- لكن هذا خطر عليكِ؟

- أعلم، لكن كان لابد منها.

- سألها لِمَ؟

- لأني أريدك معي.

غمرت السعادة قلبه، وبرقت عيناه وحاول النهوض نحوها وهو ما يزال يشعر باهتزاز داخلي، وقلبه يخفق، فلم يستطع النهوض؛ اقتربت منه وأمسكت بيده وقالت:

- لا تحاول ما زلت تحت تأثير المخدر.

- سألها متعجبًا: أي مخدر؟

- قالت له: الذي أصبتك به عند الشجرة.

هنا أيقن أحمد سّر عدم شعوره بالألم، وأنّ رصاصة القائد كانت طائشة أو فارغة؛ بفضل الذهب مؤكدًا.

بعد مرور ساعات من الحديث تركته دون أن تخبره اسمها أو تسأله عن اسمه، تركته على وعد أنّها سوف تعود بعد حين.

"الحب أمل متجدد، يستحق أن تعيش من أجله"

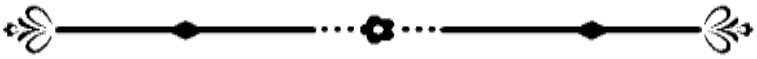

كشف الحقائق

في كلّ مرة تعود تخبره شيئًا جديدًا؛ علم في البداية اسمها - لوسين - علمت أيضًا أنّ هذا الاسم يعني باللغة الأرمينية (قمر) إذًا هي لغة أهل الجزيرة، لكن ما هي اللغة الأرمينية؟ لم يسمع عنها من قبل، في كلّ مرة تأتي تكشف له عن حقيقة، لكن تلك الحقيقة تفتح أبوابًا كثيرة لأسئلة أخرى، ما زال أحمد يبحث عن حقيقة هذا المكان، ظهرت له من خلال الخريطة جزيرة واحدة وعلى أرض الواقع ثلاث جزر.

بدأ يتعلم بعض المفردات اللغوية الخاصة بهم، وتعلم أشياء عن تاريخ أهل الجزيرة، كل ذلك من لوسين، كانت دائمًا تسرد له بعض الحقائق عن هذه الجزيرة.

الحقيقة الأولى:

أهل هذه الجزيرة هم آسيويو الأصل، يعتقدون أنّهم أوّل قبيلة بشرية هاجرت من بلاد آسيا عبر المحيط إلى تلك الجزيرة، منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، عن طريق مراكب صنعت من الخيزران المربط والمشكل بالنار، يوجد منها واحدة إلى الآن في الجزيرة، يحتفظون بها، إرث أجدادهم.

تلك المعلومة لو نظرت لها تبدو صحيحة؛ إذا علمت أنّ هبوط آدم عليه السلام كان في الهند، وأوّل الخلق كان في قارة آسيا ومنها هاجروا إلى غيرها، لكن من أين جاءت لهم اللغة الأرمينية؟

يقولون: إنّ آدم عليه السلام تحدث بكلّ اللغات، لكن لوسين قطعت الشك باليقين؛ حينما أخبرته أنّ اللغة الأرمينية ليست لغة أهل الجزيرة رغم أنّ معظم الأسماء مأخوذة منها، الأرمينية هي لغة القدماء في المهجر لذلك يعتزون بها، لكن لغتهم قريبة من السريانية القديمة.

يعتقدون أنّ السريانية هي اللغة الأم، لغة آدم عليه السلام، لا أختلف في ذلك ولا أؤيده، هذا لن يزيد إيماني شيئًا أو ينقصه.

الحقيقة الثانية:

لوسين ابنة زعيم القبيلة، ولا تجوز الزعامة لامرأة، إلا لو تزوجت تنتقل الزعامة لزوجها، الجميل في الأمر أنّ المرأة إذا اختارت زوجها لا أحد يقف أمامها، إذا أرادت، فقط تهرول نحو مسكنه، وتمكث فيه، يتولى الزوج كلّ شيء بعد ذلك من مهر وطقوس للزواج.

من أجل ذلك يتسابق الجميع لينال ذلك الشرف، أما هي فكانت تفكر في زوج يأتي لها بالخلاص، ليس خلاصها فقط بل خلاص الجميع، ومن ثمّ عودة الجزر كما كانت جزيرة واحدة.

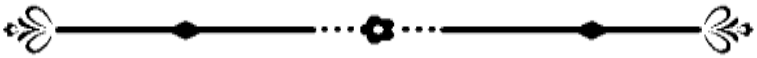

الحقيقة الثالثة:

الرجل المشعوذ، ساحر له ثقله داخل الجزيرة قديمًا، وهو من بثّ الخوف في نفوس أهلها؛ بعد أن اجتاحها الوباء، وحصد العديد من الأرواح، نجح في إحداث أول انقسام وقع بينهم بعد نبوءته "النجاة في الخروج من هذه الأرض إلى الجبال، والاتباع لا يكون إلا للأمريكان، ترك حياة القبائل من ترابط وألفة وزعامة، وإذا كان لابد من زعيم، فإنه يرى رجلًا غريبًا يتزعمهم ويكون الخلاص على يده"

وقد آمن البعض بنبوءته فاتبعوه شرقًا حيث الجبال، بينما ظلّ البقية كما هم ولم يرحلوا، لكن مع ازدياد الوضع سوءًا، وكلّ يوم يمر يلتهم منهم أرواحًا قرروا الهجرة لكن للغرب.

الحقيقة الرابعة:

بعد انقسامهم وذهاب كلّ فريق في جهة، جاء الأمريكان بمعداتهم وجرفوا الأرض حتى عزلوا البقعة الموبوءة عن باقي الأرض، ومنذ هذه اللحظة أصبحنا ثلاث جزر.

الغريب في الأمر أنّ الأمريكان ذهبوا للجبال بعدها واستوطنوا بها مع القاطنين هناك، بعد زوال الوباء عادوا إلى مكانهم الحالي (الجزيرة الوسطى)، وبعد ذلك فكروا في الجهة التي تسكنها لوسين وعشيرتها فأبوا، كانت حربًا خفية بعد ذلك، لم ينجحوا فيها، عادوا لمكرهم مطالبين مجلس الأمم

بإدراجهم تحت عصاة المجتمع وأنّ أهل هذه الأرض هم من في الجبال الموالين لهم.

الحقيقة الخامسة:

الوباء بفعل فاعل؛ قبل ظهوره تم اختطاف عشرة رجال، في بادئ الأمر ظنّوا أنّهم قد غرقوا، لكنّهم عادوا بعد شهرين.

تم استقبالهم بالتهليل، وبعد أن استقروا قصوا عليهم ما حدث...

اصطدم زورقهم بعبارة أمريكية أثناء جولتهم للصيد، مع العلم أنّ أغلب من في الجزيرة يجيدون السباحة، لكن الاصطدام بعبارة له شأنٌ آخر.

بعد اقترابهم من الغرق قفز بحارة أمريكيين وأنقذوهم، قاموا برعايتهم وتحصينهم بالأدوية والأمصال، ثمّ عادوا إلى الجزيرة، بعد شهرٍ من عودتهم بدأت تظهر علامات الوباء عليهم؛ ارتفاع في الحرارة، وجه شاحب، هزل الجسم، ضيق في التنفس، ماتوا في نهاية المطاف، لكنّ المرض انتقل لمن تعامل معهم عن قرب، ثمّ تفشى بعد ذلك.

تدخلت القوات الأمريكية على شكل لجانٍ صحية وتولت الرعاية، ليحدث الانقسام بعد ذلك.

انتهت لوسين من حقائقها، فكان لدى أحمد عدة أسئلة، أهمها:

لِمَ فعلت أمريكا كل ذلك؟

لماذا كان المشعوذ يريد قتله؟

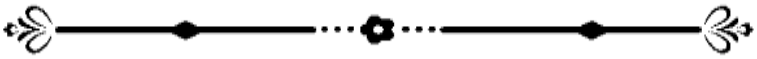

ومسك الختام: لِمَ فعلت هي ما فعلته؟ وعرّضت حياتها للخطر.

هل فعلت كلّ ذلك من أجله؟ أم سارت بها الأمور لفعل ذلك كقتل المشعوذ.

جاءت إجابتها:

- عن السؤال الأول، هذه أرض الذهب، لكن ليس هذا كل شيء؛ لو رأيت خلف الجبال ماذا فعلوا لعرفت الإجابة وحدك.

- قطع حديثها سائلًا: وماذا هناك؟

- جعلوا من خلف الجبال وتحت الأشجار منفى للأشخاص الذين يبغضونهم؛ العصاة للمجتمع هكذا أطلقوا عليهم.

- وماذا عن السؤال الثاني؟

- الثاني والثالث معًا؛ باختصار انقلب السحر على الساحر، رأى الساحر ما رأيته فيك.

- سألها: وماذا رأيتما؟

- الأمل، في تحقيق نبوءته.

- أتؤمنين بها.

- قالت: ليس هذا، رغم أنّني أؤمن أنّ الخلاص على يد شخصٍ من خارج الجزيرة؛ شخص يؤمن بقضيتنا، ويؤمن به الجميع؛ ليتحدوا، في الاتحاد قوة.

- سألها متأملًا: هل أنا هذا الشخص؟

- نظرت إليه تترقب رد فعله وقالت: هذا يتوقف عليك.

- كانت إجابته: وأنا لا أريد غيرك.
- رفعت رأسها وهي تقول: أنا وشعبي كيان واحد لا يتجزأ.
- حينها شعر بأنّه يتحدث مع ملكة في عزها وإجلالها.
- وبعد صمت لم يدم قال: لأجلك أفعل أي شيء.
- ابتسمت قائلة: لا من أجل شعبي أولًا، كلّ شيء متوقف على إيمانك بقضيتنا والجهاد من أجلها، وأعلم أنّ ما في قلبي ليس حبًا فقط؛ بل حلم نسج حبك خيوطه داخلي.
- انشرح قلبه لتلك الكلمات، وبعد ثوانٍ تذكر أنّها لم تخبره سر الخريطة، فسألها.
- قالت: هي حقيقة هذه الأرض، ليس في الحدود والتضاريس الجغرافية، الحقيقة أنّها أرض الذهب.

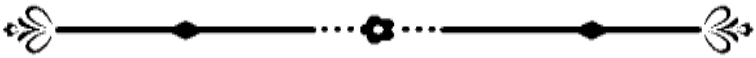

"لا يجوز للحبّ أن يكون مشروطًا"

ما قبل البداية

ظلّ أحمد في هذا المكان شهرًا، أطلق لحيته وزاد شعر رأسه طولًا، في هذه الأيام تعلم الكثير، أهمها أنّ الإنسان خُلق حرًا وهو من صنع قيوده، وأنّ الأرض خلقت له وطنًا، لا حدود لها ولا حواجز تمنع حرية الانتقال والترحال؛ العالم كلّه في الأصل وطنٌ لآدم وهم أبناؤه الوارثون.

في صباح يوم من هذه الأيام جاءته لوسين تأخذ بيده للخروج والسير فوق الرمال معًا، عند الخروج وجد نفسه فوق جبلٍ له فوهة، كبركانٍ خامدٍ كان يسكنه، هو أعلى قمة في الجزيرة، ترى كل شيء من خلاله، تشعر أنك قريب من السماء، كطير له جناحان لا يرى غير غصون أشجار عملاقة تغطي المكان، من فوقها طيور تداعبها بأهازيج عذبة، يحيط كلّ ذلك المياه من كلّ اتجاه، رأته لوسين متأملًا، مستمتعًا فسألته عن رأيه في هذا؟

لم يستطع الإجابة إلا بتنهيدة تملؤها لفظ الجلالة - الله - ضحكت لوسين وزاد بريق وجها، واحمرت وجنتاها وقالت: هكذا شعبي.

التفتَ لها وأمسك بمنكبيها وقال: وهكذا أنتِ.

قال ذلك وجذبها نحوه يضمها للمرة الأولى، أغمض عينيه حالمًا بتاج يزين رأسها؛ لتصبح ملكة لهذه الأرض.

وبعد لحظات عاود الحديث سائلًا: من أين البداية؟

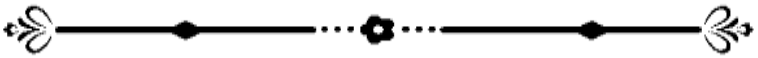

قالت:

- من حيث تريد.

- قال لها: البداية دائمًا من حيث تشرق الشمس قال ذاك واستطرد: هم يؤمنون بأنّ الخلاص سيأتيهم على يد غريبٍ، وأنا ذلك الرجل الذي ينتظرونه.

- قالت: يا عزيزي شرط الإيمان الطمأنينة.

- أمسك بيدها قائلًا: معًا سوف نستطيع.

عادا للداخل مرة أخرى وطلبت منه لوسين أن يكون على استعداد في الغد سوف تكون البداية.

في صباح اليوم التالي جاءت لوسين وعندما رأته وقفت للحظة ترمقه وأخبرته أنّه لابد من تصفيف شعره.

نظر لها متعجبًا محركًا كفيه وهو يسألها: أين يفعل ذلك؟

قالت: لا عليك دع الأمر لي، قالت هذا وأخرجت مقصًا ومشطًا، هذا ما زاد أحمد دهشة، لاحظت هي ذلك، فأخبرته أنّ المرأة هنا هي من تصفف شعر زوجها وأطفالها.

قال لها مازحًا وهو يشير نحو نفسه: هذا الثور لا يجوز أن يكون طفلك، إذًا أنا الآن بمثابة زوجك.

تبادلت معه المزاح قائلة: أنت أكثر من ذلك.

بعد أن انتهت مما تفعله اتجها معًا نحو الشرق حتى وصلا إلى الشاطئ ظنّ أحمد أنّهما سوف يأخذان أحد المراكب، لكن لا وجود لمركب على الشاطئ، إذًا ليس أمامهم إلا السباحة، بدؤوا الخطوة الأولى في المياه، ثمّ الثانية، والخطوة تلو الأخرى، وكلّ خطوة تزيد أحمد شغفًا وإثارة، متى بداية السباحة؟ رغم أنهما وصلا للمنتصف تقريبًا هنا وقف أحمد جاذبًا يديّ لوسين يسألها:

- ابتسمت لوسين وأردفت: الأمريكان لم يهتموا هنا بالتجريف؛ لأنهم لا يخشون شيئًا من هذا الجانب.

- أومأ أحمد برأسه قائلًا: وهذا الجانب سوف يكون بداية الخراب للأمريكان.

وصلا إلى الشاطئ الآخر وتخللا بعض الأشجار والمرتفعات البسيطة حتى وصلا مع حلول الظلام لمكان مستوٍ يسكنه الناس، قامت لوسين بلف وشاحها لإخفاء ملامحها، نظر لها سائلًا:

- لِمَ فعلت ذلك، أتخشين شيئًا؟

- قالت: هذا طبع النساء؛ خاصة أنّ المكان به غرباء.

وجدا أهل المكان يقفون خلف كبيرهم ناظرين للسماء؛ يتضرعون إلى الله؛ لكي يرزقهم ويوفقهم للخير والرشاد.

وقفت لوسين وأحمد بجانبها يفعلان مثلهم، في الدعاء لا اختلاف في الأديان، هكذا حدّث نفسه أحمد، بعد قليل همس في أذنها يستفسر عن أي بديل يرجونه من الله؟

قالت له: لابد أنهم علموا بمقتل المشعوذ وأظن أننا جئنا في الوقت المناسب.

حاول أحمد أن يستفسر منها أكثر من ذلك، لكن الوقت لم يسعفه؛ انتهوا من التضرع وجلسوا في حلقة دائرية يتحدثون، أما أحدهم جمع الحطب وأشعله في المنتصف مما زاد المكان إضاءة، لاحظ كبيرهم وجود لوسين فنهض واقفًا يدعوها إلى الجلوس بجواره، أما البقية عندما علموا أومؤوا برؤوسهم احترامًا وتبجيلًا.

قامت لوسين وأخذت أحمد معها؛ تجلسه بجوارها، نظر الجميع وعيونهم تتساءل من يكون؟

جلست لوسين وبجوارها أحمد، ثمّ بدأ الجميع يصافحونها بالأيدي، ثمّ يعودون إلى أماكنهم مرة أخرى، لاحظت لوسين تعجب أحمد من ذلك فهمست له: إنّهم هاجروا واختاروا الفرقة لعدم الأمان، هذا لا يعني أنهم باعوا أنفسهم أو ولاءهم، فعلوا ما فعلوه مضطرين.

قالت ذلك والتفتت إليهم وتحدثت بلهجتهم التي أتقنها أحمد وقالت:

"الرب راعٍ فلا يعوزني شيء"

تلك ترانيم داوود، ملك بني إسرائيل وجدّ يسوع، داوود الذي أعطاه الله الملك لشجاعته، ونحن أحفاده وعلى يقين أنّنا أصحاب هذه الأرض، وأنّ أحفادنا هم الوارثون، أو كما جاء في مزاميره

"الصِّدِّيقُونَ يرثُونَ الأَرضَ وَيَسكنُونهَا إِلَى الأَبَدِ"

إذا كنتم تنتظرون نبيًا يعيَّن لكم ملكًا، أو يكوَّن لكم جيشًا، فلابد أن يكون بيننا جندي شجاع كداوود، عندما بارز جالوت وهو أكثر منه قوة، هزمه وقتله، اعلموا أنّ هذا المشعوذ لم يكن نبيَّ الله صاموئيل، ولا هؤلاء هم بنو إسرائيل ليكون من بينهم ملك لهذه الأرض، حماة هذه الأرض هم أبناؤها، هم من يستحقون كل شيء هنا.

انتهت لوسين من حديثها وأحمد في حالة ذهول؛ كلّ مرة يستمع إليها تزيد حيرته ويعجز تفكيره، أين تعلمت كلّ هذا؟

خاصة في مثل هذه الحياة البدائية، في البداية لم يفكر في ذلك، من الطبيعي أنّها تحتفظ بتاريخ هذه الأرض؛ كونها ابنة زعيم أهل الجزيرة، لكنّه أحسّ اليوم أنّه أمام قديسة أو ملكة كملكات الزمن القديم.

اتفق أحمد مع كلّ ما قالته لوسين ولم ينكره، هو يعلم أنّه كان نبيًّا أتى بعد موسى ذهبت إليه بنو إسرائيل ليعيَّن عليهم ملكًا، فكان طالوت (شاؤول) وكان داوود واحدًا من جنوده، وهو الذي قتل جالوت، فصار بعد ذلك ملكًا.

وأيضًا كان لداوود ترانيم، فهو أعذب الأصوات وأفضلها على الإطلاق بين البشر، كما أخبرنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم.

ظلّ أحمد شاردًا حتى قطعت لوسين شروده تنادينه، انتبه لها فوجدها تطالبه بالحديث، بدأ حديثه:

السلام عليكم، والله السلام، حقيقة الأمر أنا لا أجد كلامًا أصدق تعبيرًا بعد قول لوسين، غير أنّني آمل أن تتدبروا الأمر جيدًا. نبوءة المشعوذ أن تؤمنوا أنّ الخلاص في أيدي غيركم، وإنّني لأرى غير ذلك، إذا أردتم الخلاص والفلاح، عليكم أن تؤمنوا بأنفسكم، ولا تنتظروا من الغير شيئًا إلا إذا كان يؤمن بكم وبقضيتكم، وأنّكم أحق بهذه الأرض، والحق أحق أن يتبع، هذه أرض أسلافكم، أنتم أقدم شعوب العالم، إلى هنا يتنحى التاريخ جانبًا لتسطره أيديكم.

واعلموا أنّني عربيٌّ مسلمٌ، اندهش الجميع عندما قال ذلك، رجعوا برؤوسهم للخلف وهم يزومون، فأكمل حديثه: لا اختلاف في ذلك، فالدين واحد، والربّ واحد، وعدوي وعدوكم واحد، اتحدوا فإنّ في الاتحاد قوة، حلمكم أن تعودوا كما كنتم جزيرةً واحدةً، وحلمي لكم أكبر من ذلك، دولة يعمها الخير والسلام.

في النهاية أنا لا أريد منكم شيئًا غير أن أكون معكم، فهل تقبلونني؟

صاح الجميع بالقبول، سعدت لوسين بذلك، وبدأ أحمد في الاندماج والانخراط معهم، لكن ليس هذا ما يسعى إليه، إذا أردت كسب الثقة عليك بشيئين، أولهما العاطفة والثاني بث التغيير في أنفسهم من خلال خلق الطموح للأفضل.

"إذا سيطر الخوف فلا مكان لشيء آخر بجواره"

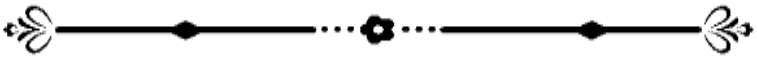

البداية

بدأ أحمد التحضير بخطوات نحو الحلم، كانت أوّل خطوة طلبه من لوسين الاجتماع مع ألين في أول زيارة لها، بالفعل حدث عندما جاء وفد الزيارة كعادته ومعه ألين، لكنّه لم يستطع الظهور، هذا ما جعله يغطي رأسه وجزءًا من وجهه بوشاحٍ، بعد ذلك فكّر في استدراجها إلى مكانٍ بعيد ليتحدث معها، نجحت لوسين في ذلك بحيلة أنّ هناك مجموعة من النساء يردن التحدث إليها في أمرٍ خاصٍ، وافقت ألين على الفور وجاءت، عندما رأته انصدمت رغم أنها لم تعرفه؛ كانت متهيئة لمقابلة نسوة ووجدته رجلًا، أراد أن يهدئ من روعها متحدثًا باللغة الإنجليزية:

- لا داعي للقلق ألين.

- حدّقت نحوه وأردفت: كأنّني أعرفك!

- أومأ برأسه ولم يتحدث.

- أكملت حديثها: الصوت ليس بغريب، لكنّه... قالت ذلك والتزمت الصمت.

- فتدخل أحمد قائلًا: لكنّه مات، أو هكذا قيل، قال لها ذلك وهو يخلع الوشاح عنه.

عندما رأته انتابتها الدهشة وتأتأت قائلة: من، أحمد، كيف؟

- أجابها بضحكات عالية وبلهجة أهل الجزيرة: تلك إرادة الله.

- نظرت له ولم تتحدث؛ تحاول تفسير ما قاله.

- فتحدثت لوسين بالترجمة للإنجليزية: يقول لكِ تلك إرادة الله.

- نظر أحمد إلى لوسين مبتسمًا وهزّ رأسه مرتين، ثمّ التفتَ إلى إلين ودنا منها، وهو يردد باللغة العربية بكلمات مفردة؛ الكلمة تلو الأخرى، وهو يشير إليها بإصبعه: مثل هذه الكلمات لا تجوز إلا باللغة العربية، وَاعْلَمْ أَنّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّه لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّه عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفّتْ الصُّحُفُ»

في تلك اللحظة اقتربت ألين منه وعانقته، نظرت لهم لوسين بعين الغيرة، لاحظ أحمد ذلك فقال بالإنجليزية:

- كفاكِ يا زوجة أخي لقد غارت لوسين.

- فتقهقرت ألين خطوة، والتفتت لها وهي تسأله: إنّها هي؟

- أجابها: نعم، زوجتي، وقبل أن تعلق بأي شيء أكمل: هذا باعتبار ما سوف يكون.

حاولت ألين الاستفسار عما حدث لكن أحمد قال لها:

ما جئت بك لأسرد معكِ الماضي، بل لنخطط معًا لمستقبل جميل، ويسع الجميع.

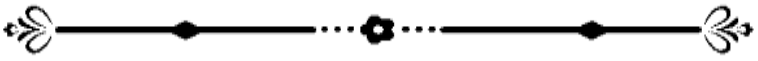

قال لها ذلك، ثمّ فاجأها بسؤال:

- ماذا لو خيروكِ بين مصر وأمريكا؟

- نظرت له ووجنتاها مقشعرتان، مرتعشة، تسأله: ماذا؟

- عاود أحمد السؤال بصورة أخرى:

ماذا لو قامت بين مصر وأمريكا حربٌ، لمن تنحازين؟

- نظرت له وهي رافعة الحاجب الأيسر قائلة: أنت تصرّ أن تصعب الأمور، لكن بحكم العقل والمنطق أمريكا، وبحكم العاطفة والحنين مصر.

تبادل الحوار معها وعاد بسؤال آخر: وظنك في هذه الأمور، هل الحكم للمنطق، أم للعاطفة؟

- إذا كنت متزنًا فعليك باتباع المنطق مع قليل من العاطفة؟

- أراد أحمد أن يتقمّص شخصية سقراط في محاوراته فسألها: إذًا ما هو الوطن من وجهة نظرك؟

- الوطن هو ما ولدتُ فيه وسرتُ فيه إلى النهاية؟

- تابع أسئلته: ماذا لو ولدت في مكانٍ وعشتِ في مكان آخر، عن أيهما تدافعين؟

- أدافع عن المكان الذي أقيم فيه.

- قال لها مبرهنًا: إذًا الوطن هو المكان الذي تعيشين فيه الآن.

- لا أظن ذلك، لكن دفاعي عن المكان الذي يؤويني واجب منطقي.

- هنا ابتسم أحمد وكأنه وصل لما يريد، فسألها: وماذا عن المكان الذي ولدتِ فيه؟

- أجابته: تظلّ العاطفة والحنين إليه موجودة.

- معنى قولك هذا إنّ الوطن الذي تجد فيه نفسك مطمئنة، وكرامتك مصونة، ومستقبل أفضل وهو ما يستحق الولاء والانتماء.

- هذا بحكم العقل والمنطق، لكن من منا لا ينحاز للعاطفة، قال ذلك وحاول أن يبرهن بدلائل قديمة مثال أنّه لم تذكر كلمة الوطن في التراث العربي؛ وهذا لأنّهم كثيرو الترحال، فليس هناك تعلق بالأماكن.

هنا ابتسمت لأوّل مرة وهي تسخر من حديثه: لو كلّ شخص فكر مثلك لاختلطت الأمور وأصبحنا بلا ولاء ولا انتماء.

- قطع حديثها قائلًا: لا لم أقل ذلك، بل أذكرك بالحقيقة، الأرض كلها وطن لآدم، لكنّ أبناءَه على مرّ العصور هم من تفرقوا، اعلمي إنّها سنة الله في أرضه، معظم الأنبياء هاجروا، لكن ما من نبيّ إلا وهاجر وكان ولاؤه للإنسانية، وانتماؤه لله ربّ العالمين.

- نظرت له وهي صامتة وبعد لحظات سألته: إذًا ما هو الوطن من وجهة نظرك؟

- هو نفس ما تعتقدين مع فارقٍ بسيطٍ؛ الوَطَنُ: مكانُ إقامةِ الإنسانِ وَمقَرُّه، وإليه اِنتماؤه، وُلد به أَو لم يولد.

- إذًا من الممكن أن يصبح لك وطن غير وطنك.

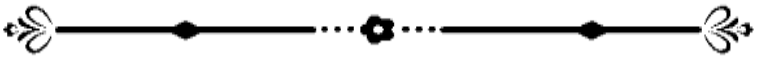

هنا أيقن أحمد أنه وصل لما يريد وقال: هذا ما دعوتك لأجله.
- نظرت له في دهشة وعيناها تسألانه ماذا يعني وماذا يريد؟

بدأ أحمد يخبرها بما يريد وأنه من الآن فصاعدًا هذه الأرض وطنه، ولها حق الانتماء والدفاع عنها، قال لها ذلك واستطرد:

"أنا مثل آدم؛ الأرض لي وطن، أتبوأ فيها حيثما أشاء"

تدخلت لوسين في الحوار بعد صمت طويل لتسرد إلى ألين بعض الحقائق، أما ألين أبت أن تقتنع، تدخل أحمد مساندًا إلى لوسين في السرد، لكن دون جدوى، هذا ما أغضب لوسين كثيرًا وبدأت تهمهم، خشي أحمد من أي تطور؛ فتعجّل في نهاية الحديث مطالبًا ألين بالحق الإنساني لأهل هذه الأرض، أليس من حقهم حياة كريمة؟

" هناك فن يسمى التحاور، إن غصت فيه بحرفية تكن أفطن الناس"

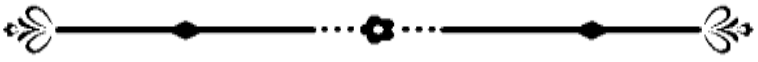

الوجه الحقيقي

رحلت ألين على وعد أنّها سوف تحاول، مع هذا كان هناك تخوّف من لوسين ولم تطمئن لوسين إلى ألين، لا نعلم هل هي غيرة النساء، أم الكره المتوارث للأمريكان.

نجحت ألين في إقناع الأمم المتحدة؛ وبدأت مرحلة البناء والتعمير، وأحمد ما زال يتجول بين أهل الجزيرة كلّ مساء، يسألهم عن حاجتهم وعن أحوالهم، بدأت ثقة أهل الجزيرة تزداد به، خاصة مع التغيرات المستمرة في البناء والعمارة، أصبح يشاركهم في كلّ شيء، حتى في شعائرهم الدينية.

توالت زيارات ألين عبر لجان متتابعة وفي مرة جاءت ومعها سمير.

انشرح قلب أحمد عند رؤيته وأظن أنّ سمير كذلك، لكن بعد حفاوة الاشتياق بدأ سمير في إلقاء اللوم عليه وينتقده في بعض الأمور، حاول أحمد التبرير سائلًا: وهل كان أمامه مسار آخر ولم يسلكه، ماذا لو خيروك بين السير على الأشواك وبين الهلاك، ماذا تختار؟

فاجأه سمير يطالبه بالرحيل، لكن كيف؟ وهل الأمريكان يسمحون بذلك، يعلمون جيدًا أنّه كشف أمرهم، ولن يسمحوا لأحد مهما كان فضح هذا الأمر، يحمد الله أن صديقه مازال حيًّا، الفضل كلّه يرجع إلى لوسين واليوم أصبح بينه موثقًا أن يظلّ معها، ويحارب من أجلها.

تعجّب سمير من هذا الإصرار ومن الانخراط الزائد في كلّ شيء، حتى في الشعائر الدينية؛ كيف لمسلم أن يقيم شعائر دين غير دين الإسلام؟

وجه إليه سمير هذا السؤال.

أجابه أحمد مبررًا: إنّه فعل ذلك حتى لا يشعر أهل الجزيرة بالاختلاف، فليس هناك وقت للخلاف، غير أنّه لم يخالف دينه في شيء، في صلاتهم يقفون لله امتثالًا يمجدونه، ويدعونه، وهو فعل مثلهم، قال له ذلك واستطرد بسؤال إلى سمير: ما الخلاف في ذلك؟

وقف كما وقفوا، ناجى ربه بكلمات كالتسبيح والتهليل وبالدعاء، تابعهم في العمل وخالفهم في القول، حجته في ذلك أنّ الربّ واحد فلا معبود إلا هو، والمسلمون مؤمنون بجميع الرسل. من هذا المنطلق انخرط معهم، فإذا كان العمل فيه مخالفة لدينه تركه، وأما إذا كان فيه خير يتبعه، كان برهانه ما فعله رسولنا الكريم في يوم عاشوراء؛ قال: نحن أولى منكم بموسى، حتى ولو كان خالفهم بعد ذلك في عدد الأيام، أنا أيضًا آخذ منهم العمل الصالح، والفاسد أنكره، مع العلم أنّهم على اليهودية القديمة التي لم تنجرف إلى أي تحريف أو أي أهواء، أهل هذه الجزيرة منعزلون عن العالم منذ آلاف السنين، تعلموا الإنجليزية وبعض الأمور الأخرى منذ زمنٍ قريبٍ أثناء الاحتلال الأمريكي.

مرّت الأيام وذاع صيته في كلّ الأرجاء، بدأ يرسم خارطة الطريق، الخطوة الأولى هي رجوع الجزر الثلاث إلى ما كانت عليه جزيرة واحدة، إذا كانوا لا يستطيعون عمل ذلك في الطبيعة التي جرفتها الأيادي الغاشمة، فمن السهل توحيد أهلها، أخذ أحمد معه عشرين رجلًا إلى الجزيرة الغربية عبر الجسر المائي الذي عبره مع لوسين، ومكثوا حتى الليل للمرور من المنطقة المحظورة، ثمّ مركبان بدائيان، مصنوعان من الخيزران كانا في انتظارهم، بعد اتفاق أجرته لوسين لذلك، كل هذا بفضل مهارة التخفي لأهل الجزيرة وقليل من الذهب، نعم هو جواز ترحال من مكان لمكان وأمام أعين البعض.

هذا الأمر جعله يفكر في الوصول للمنفى وكشف ستر الأمريكان، في تلك المرحلة أصبح له أنصار، ولِم لا؟ وقد نجح في إعادة الحياة هنا وهناك؛ مجرد الوحدة والسلام بعث الأمل والسعادة، كلّ يوم يمرّ تزداد ثقتهم به، بدأ يتحسس خارطة الطريق، يشمّ رائحة الثورة، لكن من أين يبدأ؟ ومن أين تكون شرارتها؟

خلال أيام توصّل لسجلات المنفى ووجد فيها اسمًا لأحد رموز العصر الحديث، بل أهمها على الإطلاق، هو الوحيد الذي استطاع الوقوف في وجه الأمريكان، ليس هذا فحسب، بل من ساند وأيّد الثوار في كلّ مكان، وأوّل من نادى بتوحيد العالم، وأنّ لا حدود ولا قيود لأي ثائر، الجهاد دائمًا في المقام الأوّل للإنسانية، لذا أصبح اسمه يقارن بالحرية ومحاربة الفساد في كلّ مكان.

أوّل ما وجد اسمه انتابته الدهشة؛ لقد أعلن مقتله منذ أعوام ودفنه في مكانٍ غير معلومٍ حتى لا يصبح مزارًا للعصاة ولتنتهي حياته، وتطمس ذكراه.

لا يعلمون أنّ مثل هؤلاء يسكنون قلوب محبيهم، وما سكن القلب امتلك العقل، فكيف تمحى ذكراه؟

- سام نور - هذا اسمه، شهيد الحرية، هكذا أطلق عليه بعد ادعاء إعدامه.

بعد أيام تسللت لوسين إلى تلك الجبال ومعها آخرون، ونجحوا في إطلاق سراحه، الذهب يا عزيزي له بريق خاص يسحق بريق العيون، بدأت ألين تقتنع بزيف الأكاذيب التي لقنت بها وأنّ أمريكا ليست هي راعي السلام في الأرض، وأنّ الخيانة العظمى هي خيانتك للإنسانية، الواجب الإنساني ليس كما يشاع إنما هو فرض تفرضه الديانات كلها.

عندما جاء سام نور أجلسه أحمد بجواره وأحيانًا في مكانه ليحفز الجميع على الجهاد، في أوّل حديث له طرح سؤالًا:

هل تعلمون أنّ الله خلق كل شيء ثم بعد ذلك خلق آدم؟

قال ذلك واستطرد:

من المؤكد أنه له حكمة في ذلك وهناك رسالة، هل من أحد يعلمها؟

نظر له الجميع في صمت، هذا ما دعاه أن يكمل حديثه دون أن ينتظر: الحكمة في أنّ آدم هو خليفة الله في أرضه، فلا خليفة بدون خلافة، لذا كان لابد من إعدادها أوّلًا وكأنّ الله خلق لآدم الكون وأخصه بالأرض

يملكها من مشارقها لمغاربها، كلّها ملكه يرمح فيها لا انقسام ولا اختلاف حتى جاء الطوفان واختلفت الأمم، من عبروا المياه أطلق عليهم عبرانيين، وليس هذا دليل على العبرانية الآن، بل تلك الحقيقة ترصد لنا أمرًا واقعًا، هم يعرفون التاريخ جيدًا ويستغلونه ويؤمنون بالمستقبل فيسعون إليه، فليعلم الجميع أنّ الأرض خلقت لآدم يتبوأ فيها حيث يشاء ونحن أبناؤه، ولقد اخترنا هذه الأرض، أو سيرنا الله لها، لا أحد يعلم القدر، لكنّنا نوقن أنّنا هنا وتلك الأرض من الآن أرضنا فلنؤمن بالمستقبل ونسعَ إليه، ونعلم أنّ الماضي معنا، وليس لهم أي مكان فيه.

استطاعت ألين بعد ذلك إحضار أجهزة بث عبر الأقمار الصناعية من المعسكر، بدؤوا من خلالها بث الحقائق، أولها ظهور سام نور، وحقيقة أنّ هذه الأرض التي اتخذتها أمريكا منفى، وأنّه لا سلام؛ إنما جاءت للاحتلال، وجه سام نور نداءات لأحرار العالم لتكون الجزيرة قبلة لهم، فتحت الجزيرة أحضانها للأحرار لأوّل مرة في التاريخ تستقبل أغراب.
حدثهم سام نور عن سياسة الأرض المحروقة؛ هي إحراق كلّ شيء ممكن أن يستفيد منه العدو، أوّل من لجأ إلى ذلك أظنهم الروس، ونجحوا في ذلك ضد نابليون الذي قرر الجلاء إثر ذلك، لكنّ سام لم يكن هذا غرضه؛ بل أحرق الأشجار كنداءات للاستغاثة، كان الأمر صعبًا في البداية على أهل الجزيرة، لكن لوسين استطاعت إقناعهم، أصبحت تلك البقعة من الأرض

حديث العالم، توافدت بعض الجماعات المتفرقة من جميع الأنحاء، أو كما يزعمون أحرار العالم، الكلّ يريد أن يساند، كانت الخطوة الثانية إلى السجون اتجه سام وبعضٌ من أعوانه إليها، ودكوا أبوابها، انفضح الأمر على المشاع، انكشف الغطاء الذي كان يستر أمريكا وبدا للعالم وجهها القبيح، حاولت أمريكا التصدي لكنّ الحرب جاءت من جميع الأبواب، وبعد ضغط دولي وحفاظًا على ماء وجههم قرروا الانسحاب على استحياء، المهم أنّهم نجحوا، ظنّ الجميع أنّها النهاية، لكن بعد كلّ نهاية بداية، جميل أن يكون لك طموح، والأجمل أن يكون متجددًا، لا نهاية له.

" أظن أنّ كلمة يطمح أساسها يطمع، لكنّها اللفظ الحسن الذي يعني السعي لتحقيق الأمل"

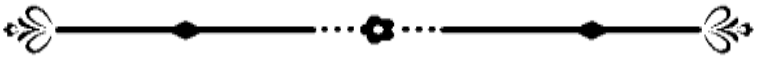

حنكة سام

اشترطت أمريكا قبل رحيلها أن يكون لهذه الأرض ممثل، في ظلّ هذه الأوضاع مات والد لوسين وهي لم تتزوج بعد، شبت بعض الخلافات في السكان الأصليين (القبيلة) فيمن يخلفه، العرف الدائر ابن أخيه الوريث الوحيد من الرجال (هوري) رجل مربوع ليس بالطويل ولا بالقصير أحمر الوجه أزرق العينين ذو شعر أصفر داكن ولحية وشارب طويل، سمين البدن، مندفع، رأى أنه أولى بذلك وعارض بشدة خاصة أن لوسين لم تتزوج منه أو من غيره، لكنّ لوسين فاجأت الجميع بإعلانها الزواج، والمبيت مع أحمد في مسكنه.

عارض ابن عمها ما فعلته، ورأى أنه الأحق بذلك، خاصة أنّ لوسين تزوجت بعد وفاة الوالد غير أنّها تزوجت بغريب.

تدخل سام لإنهاء الخلافات أو تركها جانبًا حتى يرحل الأمريكان، رضي الطرفان لذلك.

أصرت الأمم المتحدة على رحيل الأمريكان، وتمسكت أمريكا بشرطها، فكان القرار بإحالة القضية إلى المفوضية العليا بالأمم المتحدة، التي حددت بعد ذلك موعدًا لجمعية عمومية لتقرر المصير.

اجتمعوا ليختاروا من يمثلهم، فكان القرار بداخل أحمد - سام نور - فهو أعلمهم بمثل هذه الشؤون، ويحسن التصرف في أية مواقف طارئة.

لازال يتذكر دوره في إنهاء الخلاف مؤقتًا عندما طمح هوري في خلافة عمه حينها أخمد نار الفتنة ولو قليلًا، وأضاء بصيرتهم، لو تجدّد الخلاف تكون ثغرة يعود منها الأمريكان، وإذا كانت هناك أعراف تقرر في الماضي فلا وجود لهذه الأعراف في المستقبل، كانت قديمًا جزيرة أو ثلاث جزر تسكنها قبيلة واحدة، تعدادها قليل واليوم زاد العدد واختلفت الأمور، والآن عليهم جميعًا الحلم بالمستقبل، وفي المستقبل دولة مستقلة يحكمها الدستور والقانون، وقال لهم: هذا الحلم يدعونا ألا نتعجل المناصب، وحثهم على المستقبل وأنّ قضيتهم الحرية ومن بعدها العدل، العدل كما عرفه أفلاطون....

أن ينشغل كلّ عضو في المنظومة فيما يخصه، كالجسد الواحد؛ ماذا لو تدخل القلب في شؤون العقل؟ تنحرف الأمور.

جلسوا معًا بعد ذلك لنسج خيوط المستقبل ورسم خطوط الأمل، ليست دولة مستقلة فحسب، بل المدينة الفاضلة، حلم طال انتظاره من آلاف السنين.

بدؤوا بالجيش؛ فكانت عناصره من الوافدين، كان هذا اقتراح سام نور متعللًا بأنّ أهل الجزيرة ليس لديهم الخبرة في مثل هذه الأمور.

نظام الحكم مؤسسيّ، على رأسه لوسين ومعها هوري، يحدد الأول من الثاني بعد الجمعية العمومية للأمم المتحدة.

من تحتهما أحمد وسام وألين وبعضٌ من الوافدين والأهالي كمجلس شيوخ، أما أهل الجزيرة هم عامة الشعب، لهم الحق في حياة كريمة، كلّ شيء مسخرٌ لهم، وفي الوقت ذاته ليس لهم حق الاختيار في نظام الحكم ولا أشخاصه.

"الديمقراطية ليست لعامة الشعب، وإن أصبحت تكن فوضى"

هذا الحق جعلوه لمجلس الشيوخ.

نظام التعليم للجميع في مراحله الأولى، بعد ذلك تُنتقى العناصر الجيدة لتنتقل للمرحلة التالية، والباقي يذهبون إلى العمل، الذي توفره الدولة؛ فعلوا ذلك جاهدين لتكون أكبر دولة صناعية، وأما من أكمل دراسته فله حق مواصلة التعليم وشغل المناصب الإدارية، وإذا أمكن يصبح عضوًا بمجلس الشيوخ.

بعد كلّ هذا استقر الجميع على - قيء عصاة - اسمًا للدولة الجديدة؛ الاسم الذي اقترحته ألين، كانت رؤيتهم لهذا الاسم واحدة؛ ليسوا العصاة وإن كان البعض ينظر إليهم بتلك النظرة، فهم العصاة وأهل الجزيرة هم من خرجوا من أمعائهم رافضين المكوث فيها.

أهل الجزيرة لا ذنب لهم في طمع الأمريكان وخستهم، والذين لم يرضخوا لذل أو إهانة، وبحثوا عن الحرية والكرامة كان سبيلهم السجن أو القتل أو الرحيل بلا غاية.

جاء موعد الأمم المتحدة، ذهبوا أربعة أحمد وسام وهوري وألين، اختار أحمد سام رئيسًا للوفد وكان هو نائبه، متعللًا بأنّ هذا يمثل قمة الديمقراطية؛ أن يصبح المرؤوس رئيسًا والعكس، خاصةً أنّ معهم هوري الذي لا يشغله إلا الحكم، فأراد إبعاده عن الجزيرة، وترك لوسين معهم، تهيئة لما هو قادم.

لم تكن هناك أية اعتراضات إلا من ألين، التي ثارت في وجه أحمد بهمهمة ووجه منتفخ، قابل أحمد ذلك بابتسامة التي قطعتها ألين مرة أخرى وبنفس الهمهمة:

- لِمَ فعلت ذلك؟ ويحك؛ أنا لا أعلم، في كلّ مرة يحدث نفس الشيء ولا جديد يذكر.

- نظر لها متعجبًا: ماذا تقصدين؟

- نفس الشيء مع اختلاف الأزمنة، أنا لا ألومك يبدو أنها طبيعة المصريين.

- كل هذا لأنّني اخترت سام؟

- سألته ساخرة: وهل هذا بالقليل؟

- عاود الابتسام مرة أخرى مطالبًا إياها بالهدوء.

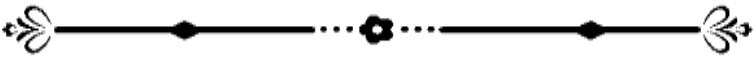

- علقت قائلة: أنا أيضًا لأوّل مرة أشعر بالحسرة؛ رغم أنّك قارئ جيد للتاريخ لكنّك لم تتعلم، حدث ذلك كثيرًا؛ انظر لقصة محمد على وتوليه مصر كان الأولى وقتها هو عمر مكرم، لكنه لم يطمع في ذلك.

- علق قائلًا: لكن هذا سام نور.

- وليكن، أنت من خططت وسعيت ولك الفضل كله، لولاك كان في تعداد الموتى، قالت ذلك واستطردت بسؤال: ماذا لو اعترف العالم به حاكمًا؟

- ابتسم هذه المرة بصوت منخفض: يا عزيزتي مثل هؤلاء لا يبغون الحكم.

- نظرت له مشمئزة وعيناها تسألانه كيف؟ فدنا منها قائلًا:

- مثل هؤلاء يعشقون الصياح والزعامة الشعبية، يرونها أقوى وأعلى شأنًا.

- اختلفت نظرتها وحركت رأسها، ثمّ وضعت يدها على فمها ضاحكة وهي تنظر له، لا يعلم هل اقتنعت، أم أنّها تسخر منه.

انتهى الحديث بينهم كما انتهت الجمعية العمومية باعتراف دوليّ بـ(قيء عصاة)، ومن ثَمّ رحيل الأمريكان، عادوا إلى أرض الوطن بعد عدة لقاءات جمعتهم برؤساء بعض الدول؛ للتعاون والاستثمار، منها أمريكا.

"في السياسة لا خصومة؛ أو كما يقولون عدو عاقل خير من صديق جاهل"

بداية الاستقلال

أصبحت أحلامهم أن يحتضنوا الجميع، لا عداوة مع أحد، ربما يأتي يوم ويحكمون العالم.

لم يتبقَّ لهم إلا رفع العلم، لكن أي علم يناسب الحلم، عدة اقتراحات انتهت عند اللونين الأصفر والأزرق؛ يرمزان للبيئة الجبلية، والسماء الصافية، والمياه من حولهم، بحثوا عن رمز يتوسط العلم، فكان اقتراح سام ومن معه هلالًا، رفض أحمد ذلك؛ واختار الشّمس إشارة للنور الذي يسعون إليه دائمًا، كانت حجته أنّ الهلال يرمز عند البعض للإسلام، وهذا ربما يخلق صدعًا بين البعض، وقال لهم في صوت مسموع: إنّه لن يترك بابًا واحدًا للتفرقة.

توجت لوسين ملكة لهذه الأرض بشكلٍ مؤقتٍ، بايعها الجميع حتى هوري؛ بعد أن سار له حكم القبيلة تحت ملكها، تأسست مراكز القوى ملكة وحيش برئاسة سام، ومجلس شيوخ واستشاريين، وحاكم للقبيلة، كان لابد من منصب يستحدث يكون رمانة الميزان بين تلك المؤسسات، أمره نافذ على الجميع طبقًا لدستور يقره الجميع، دستور قوامه العدل يحفظ للشعب كرامته، يمنع أي خلل قد يحدث إذا انحرفت فئة عن مسارها، أو مالت نحو الأخرى.

أحمد فكر في كلّ ذلك، وظنّ الجميع أنه يعد هذا المنصب له، لكن هذا لو صار يكون أوّل اختراق للقانون بكونه زوجًا للملكة في القريب العاجل، لم ينتظر أحمد كثيرًا حتى يخبرهم من هو أفضل من يشغل هذا المنصب، هي ألين لكن يعيبها أنّها أمريكية وجاءت إلى هنا في البداية محتلة فما زالت بعض النفوس تحمل لها الضغائن، لذا الأقرب والأقدر على ذلك سمير؛ نعم لأنّه لا يريد شيئًا، ولم يشاركهم الحلم، فلن يتعاطف مع أحد أو يكون له طموح في منصب، غير أنّ ألين زوجته؛ واختيارهم له كأنها هي.

ذهب إليه أحمد ومعه ألين لإقناعه، وجداه يمارس هوايته المفضلة – الصيد- اقتربا منه وبصوت ساخر بدأ أحمد بالحديث:

- أتقضي عمرك كله في الصيد؟

- لا بل أُفضِل البحر على البر؛ غالبًا الصراعات تكون بعيدة عن البحار، غير أني أشعر أن البحر وما فيه ملك للجميع، والبر مطمع الجميع، الإنسان العاقل يذهب للذي بيده، ويتنحى عن التنازعات ويتركها لأصحابها.

- داعبه قائلًا: الصيد علمك الفلسفة يا سمير.

- ليس الصيد وحده يا صديقي؛ أو كما يقولون: القارئ كالحالب، والسامع كالشارب، تشبه الحياة لوحة فنية خطتها أنامل الناس، من الأفضل لك أن تكون خارجها.

" إذا أردت أن تتعلم لا تصنع الحدث بل كن خارجه وتأمل"

- قال له سائلًا: وماذا تعلمت؟

- أن مجيئك إلى هنا، وسؤالك عني بعد فترة انقطاع له سبب.

- نعم؛ أريدك معي.

- سخر منه بابتسامة وقال: ألست معك؟ أنا معك سواء كانت هذه إرادتي أو كنت مجبرًا على ذلك.

- بادله الابتسامة وقال: لكنّني أطمع في أكثر من ذلك؛ قال له ذلك واقترب منه ممسكًا يده واستطرد: إلى متى تظل منعزلًا هكذا؟ لابد أن تشاركنا الحلم.

- ضحك ضحكة خفيفة وأتبع: أي حلم؟ ألا تكتفي بزوجتي، أم حان دوري؟ اعلم يا صديقي، أنا لا أريد شيئًا، ولو كنت أستطيع الرحيل لرحلت منذ مدة.

- وما منعك من ذلك.

- ضحك عاليًا وأتبع: أريد زوجتي، ولا أستطيع والفضل لك.

- حاولت ألين أن تتدخل في الحوار فأشار أحمد لها بعدم الحديث وتحدث: أنسيت في البداية أني لم أرحل من أجلك، وفضلت المكوث بعد زواجك من ألين.

- سخر منه مرة أخرى قائلًا: البداية، إنّه الحبّ، أنا جلست من أجل ألين، وأنت من أجل لوسين.

- حتى ولو كانت تلك هي الحقيقة ماذا جدّ؟

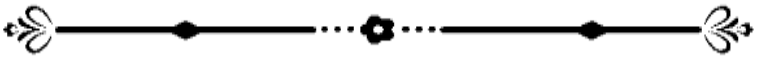

- لا شيء؛ غير أنّني لم ولن أشعر أنّ هذا وطني.
- هذا لأنّك لم تشارك، ولم تخالط الناس، من أجل ذلك أتيت لك.
- بدا وجه سمير يتغير وكأنّ الصبر قد اقترب من النفاد، فطالبه أن يفصح عما يريد.
- عرض أحمد عليه المنصب.
- سأله: وما هو المسمى لهذا المنصب؟
- قال له نفكر في المسميات بعد ذلك.
- وضع سمير إصبعه على وجنته كأنه يفكر، ثمّ قال: ما رأيك في القاضي؟
- جميل.
- طأطأ رأسه مرتين قائلًا: أنا لا أفقه شيئًا في القضاء، إذًا الإمام العادل، لكن هذا المسمى لو كانت دولة إسلامية، قال ذلك وصمت قليلًا، ثمّ عاود سائلًا: ما الديانة الرسمية للبلاد؟
- قال أحمد مشمئزًا: يبدو أنّك تسخر مني، وترفض ما عرضته عليك، أنت تعلم جيدًا أنّ هؤلاء على الديانة القديمة، ولم يصلهم أي دين بعده.
- يا صديقي، لا تكن سريع الغضب، أنا فقط أفكر في مسمى، ما رأيك في الآمر الناهي؟
- قال له أحمد: جميل؛ إذا كان هذا يُرضيك.

- أظنّ أنّه من الأهم أن نرضي الشعب، لكن أي شعبٍ، الوافدين أم الشعب الذي قاوم الاحتلال عقودًا إلى أن أتيت؟ قال ذلك وأشار نحوه بإصبعه، وأكمل: وبالحيلة رضخ له.

- سأله غاضبًا: أي احتلال؟ يبدو أنك غير مقتنع، ولن تقتنع؛ إذًا لا فائدة، لنبحث عن غيرك.

- خرجت منه قهقهة صغيرة وأكمل: تبحث عن غيري إذا خالفتك الرأي، هذا ما أخشاه لو قبلت.

- نظر إليه أحمد متسائلًا: أظنك تبحث عن ضمانات؟

- نعم هذا صحيح، مع فارق بسيط، الضمانات للمنصب وليست لشخصي.

- أفصح عما تريد دون التطرق إلى أية أحاديث أخرى.

- قال له سمير: لو قبلت سيكون بيني وبينكم عهد يقبله الجميع.

- ما هو؟

- اختياري للمنصب جاء من الصفوة، وهذا أمر قد انتهى، لكن لابد من موافقة الجميع، الأمر الثاني إذا كان هناك استغناء يصبح بأيدي أهل الجزيرة جميعًا، وأما عن المسمى للمنصب، ما رأيك في محامي الشعب؟

انتهى اللقاء على قبول المنصب بالشكل الذي سعى إليه سام، كل الطرق تؤدي إلى العدل.

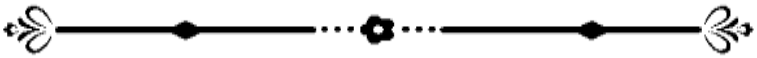

كل شيء جاهز للاحتفال، وأي احتفال؟ إقامة دولة، وزواج ملكي، قرروا كل هذا بعد عام؛ ليكن بطاقة تعريف لهم، مُنِعَ الزواج في البلاد حتى تتزوج الملكة أولًا، وحتى يُسَن قانون ينظم تلك الأحوال، يُلْزِم الجميع بأنّه لا زواج إلا بموافقة الملكة، ومباركة محامي الشعب، حتى يحافظون على السلالات في البلاد.

مر عام من البناء والتعمير؛ أنشؤوا جسورًا تربط بين الجزر ومدينة عائمة؛ يُقام فيها العرس الملكي، على أن تكون للاستثمار السياحي بعد ذلك، جعلوا الجزيرة الوسطى هي العاصمة، أنشؤوا فيها برجًا أطلقوا عليه برج الأحرار، لم تكن هناك أية صعوبات إلا في الذهب؛ أرادوا التحكم به؛ غير معقول أن يتركوه للأهالي وهم لا يعلمون قيمته الحقيقية؛ كانوا يستخدمونه قديمًا في العطايا والهدايا؛ إما لقضاء حاجة، أو للمرور دون التعرض لانتهاكات، كما فعلت لوسين من قبل.

بعد فترة من المداولات، ومساعدة سمير نجحوا في إقناعهم، حتى هوري كان له دور في ذلك.

كل شيء يساعد على النجاح، كل شيء يبشر باقتراب الحلم.

فكروا في عملة جديدة، لم يختلفوا كثيرًا في اختيار وجهيها؛ في الوجه الأول وجه الملكة لوسين، والثاني برج الأحرار.

انتهوا من كل شيء تقريبًا، حان موعد الاحتفال، كان على ثلاث ليالٍ أو أكثر، في الليلة الأولى مع أهل الجزيرة بالأهازيج والعادات القديمة، الليلة الثانية كانت تحضيرًا لليلة الثالثة واحتفالًا بالقصر الجديد بالمدينة العائمة والمكوث فيه حتى صباح اليوم التالي، توافدت الوفود من كل بقاع الأرض، الدعوة عامة للجميع، دولة العدل لا تفرق بين رئيس و مرؤوس، كل من يستطيع الوصول إليهم له منهم الترحاب وحسن الضيافة، في صباح اليوم التالي وعند العاشرة صباحًا، ارتفعت أصوات دقات ساعة برج الأحرار، الكلّ في انتظار الملكة لوسين أن تخرج من القصر وتستقل موكبها، كانت في أبهى صورة بفستان بلون الحنطة التي غرسوها مكان الأشجار، مطرز بالذهب، رسالة بأن لوسين هي ملكة الذهبين (القمح والذهب).

استقلت لوسين عربة تجرها أحصنة لكل جواد فارس يحمل سيفًا حتى وصل الجميع مقر البرج، كان في انتظارها أحمد بين جموع الشعب، محمولًا على الأكتاف، حين نزلت لوسين أنزلوه أمامها، وقف يتأملها قليلًا، متوهجة كنور الضحى، عيناها لؤلؤتان والفم زعفرانِ، ود لو وقف هكذا طيلة حياته، اقترب منهما سمير وقال:

بسم الإله الواحد، الربّ المعبود، خالق الوجود، رب الأرباب وراعي الرعاة، وبمباركة الحاضرين، الزواج شرعة من شرائع الله قدستها الأديان، إن لم يكن لعيسى وأمه الزواج فالخليل إبراهيم تزوج بامرأتين، السيدة سارة وهاجر المصرية، الزواج شُرع للتعارف والتقارب، لا غريب مع الزواج، هذا

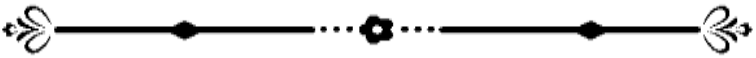

ما حدث مع نبي الله موسى وإن رحل بعد الزواج، فإنا لن نرحل ولو سارت بنا الحياة إلى الأجداث، في الختام، لا القول يوثق الميثاق، ولا كتابةً تحفظه، العالم أجمع في هذه اللحظة ينظر إلينا، وكفى به شاهدًا.

انتهى سمير من حديثه ونظر نحو أحمد في سعادة يسأله عن حاله.

- بادله الابتسامة: بخير ما دمتم حولي، قال ذلك وغمرته قهقهة لثوانٍ، هذا ما أثار سمير لسؤاله عن السبب.

قال له: فقط أتأمل كلماتك ولا أعلم من أين أتيت بهذه الحكمة؟ عهدتك غير ذلك يا صديقي

- بادله الضحكات قائلًا: مجنونًا تقصد؟

- قال أحمد مازحًا: على الأقل بالصيد.

- قاطعت ألين الحديث: كان هذا قبل أن يتزوجني، قالت ذلك وتقدمت خطوة نحوه، بعد أن اقتربت توقفت لتأخذ من إحدى الفتيات وسادة من الحرير حمراء مطرزة، فوقها تاج من الذهب الخالص، مزخرف بسنبلتين يوسطهما برج الأحرار، هذا شعار الدولة، أكملت ألين مسيرتها نحوهما بخطوات ثابتة حتى وصلت إليهما، صعد من خلفها هوري آخذًا منها الوسادة يناولها أحمد، أما ألين اقتربت من لوسين تصافحها، بعد أن انتهت وقفت بجوارها وبجوارهما سمير، أخذ أحمد التاج وتقدمت لوسين نحوه خطوتين، وضع يده مطوقًا رأسها مقبلًا ومن بعدها قلدها التاج، تقدمت ألين وسمير بجوارها من الجانب الآخر، وقف بجانب أحمد هوري؛ استعدادًا

للصور التذكارية، فاجأ سام الجميع بالصعود متأنيًا، يردد بكلمات ابتدأها: لن تكتمل الصورة إلا بي، ليس في شخصي أو الرفقاء؛ بل انظروا جميعًا لتلك الصورة الآن فقد اكتملت، قال ذلك ووقف بجوار هوري وأكمل حديثه: تمعنوا جيدًا؛ توحد العالم من خلالنا، هذا ما سعينا ونسعى دائمًا إليه، صورة تجمع الشرق بالغرب، الشمال بالجنوب.

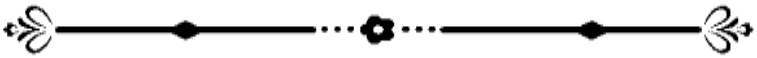

"الاختلاف ليس إلا في الألسنة، ومنذ متى يتحكم اللسان في باقي الجسد"

ما بعد قيام الدولة

انتهى الاحتفال ولم ينتهِ الحلم، في الوقت الذي تظن أنك وصلت للنهاية تجد نفسك محملًا بأحلام جديدة، لا نهاية للإنسان إلا الموت.

مرت شهور ومن بعدها أعوام، من كرامة وعزة إلى رخاء وترف، أصبح للبلاد دستور يحكم وصندوق للاستثمار، يتولى هوري جمع الذهب من الأهالي، أقروا ميزانية للدولة، للجيش ثلاثون في المائة منها، لا وجود لدولة راسخة بغير جيش يحميها، ثلاثون في المائة أخرى دعم نقدي للشعب، النسبة الباقية للنهوض بالدولة وباقي المصالح والهيئات.

مع مرور الزمن أصبحوا قبلة المستقبل مثلًا يحتذى به، أنشؤوا جامعات وأرسلوا بعثات لمعظم الكيانات التعليمية الكبرى، لم تواجههم أية مشاكل حتى في اللغة أو العقيدة، الدين لله والوطن للجميع، تمت إضافة اللغة العربية في المناهج الدراسية.

عاشوا في سلام آمنين حتى بزوغ جيل جديد، جيل له أحلامه وطموحه، لم يعاصر أية معاناة، خُلق مرفها لم يعانِ مرارة الاحتلال، جاءته الحرية على طبق من ألماز، كل شيء حوله سهل المنال، لذا بدأ يبحث عن جديد كان عليهم مواكبة هذا التطور خاصة مع الزيادة السكانية.

منذ نشأة الدولة وغايتهم العدل، لكن هناك أشياء باطنها رحمة وظاهرها العذاب، بدأت تظهر رائحة البطالة والخمول، ليست لقلة فرص العمل، إنما لعدم الرغبة.

صدق من قال: "ما دمت في غير حاجة، لا داعي للسير"

بحثوا في الأمر كثيرًا، ولم يكن أمامهم إلا خياران، الأوّل جذب أيدٍ عاملة من الخارج والثاني (لا رفعة لوطن إلا بسواعد أبنائه) لابد أن يعيدوا إليهم الحاجة ويزرعوا في أحشائهم الرغبة، كان القرار رفع الدعم في خلال ثلاث سنوات متتالية مع استمرار كافة الخدمات المجانية بدون أي تغيير، هذا القرار ينعش خزينة الدولة رغم انتعاشها، والأهم أنه يعيد الروح والحيوية للشعب الذي استكان للثراء الذي لن يورث إلا الضعف والكسل.

عارض الشعب ذلك وبشدة، كانت أوّل مرة يخرج فيها للميادين والطرقات، وانحاز لهم سمير بشخصه وبصفته، أما هوري كان مؤيدًا، لا غريب في ذلك؛ هو لا يشغله إلا الحفاظ على مكانته، وافق أيضًا مجلس الشيوخ من أجل الصالح العام، غير أنّ ممثلي المجلس جميعهم ليسوا من السكان الأصليين، لكنهم أبناء الحلم، ومع كل هذا التأييد رضخوا في النهاية لرغبة الشعب، ليس ضعفًا منهم، بل مرونة، لا تكن صلبًا حتى لا تنكسر، بل كن لينًا كالماء؛ الماء لا يعجزه صخور، ولا توقفه جسور، في باطنه الكثير، وليس كل شيء يستطيع فوق سطحه المسير.

ما حدث لم يمر مرور الكرام، بل كان بمثابة جرس إنذار، أنشؤوا بعدها مبنى للإذاعة والتليفزيون؛ للفن مفعول السحر في قيادة العقول، كان الجيش بديلًا للشعب في التعمير والاستصلاح الزراعي، هذا ما أيده الجميع إلا سمير وساندته ألين في هذه المرة، متعللَين بتعريف أفلاطون للعدل، لا يجوز أن يحل عضو في الجسد مكان الآخر ولو حدث اختلت الأمور.

هذا صحيح لكن ذلك إذا كان الجسد معافى لا يحتاج لترميم أو إفاقة، في بعض الأحيان وفي الطب الحديث كل شيء مباح حتى لو تم استئصال هذا العضو من الجسد.

هذه المرة الثانية التي يخالفهما سمير الرأي، في المرة الأولى كان له رأي آخر، كان مع التغيير دون مساس بالدعم، عن طريق خلق الطموح لحياة أفضل ليس بتضيق الخناق، في كلتا الحالتين الإنسان يبحث فيهما عن الحياة، وأظنه الثانية ينهش بأظافره في الصخر باحثًا عنها.

بدأ سام يأبى وجود سمير بعد أن أصبح سام مع الجيش اختلفت بعض الأمور، ذهبت عنه الشعارات القديمة.

كل هذا لن يضر، هم يبحثون دائمًا عن الرأي والرأي الآخر، والأمر شورى بينهم، سمير ينفذ مهام منصبه بكل حرفة ومهنية هو محامي الشعب، وسام أيضًا كل ما يشغله الجيش، حقًا كل شيء زائل إلا وجهه، أين سام نصير الشعوب؟

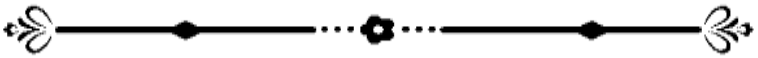

في آخر مرة عارضهم سمير كانت له رؤية وهي إشراك الجيش في العمل العام تمهيدًا للشعب وفي أي وقت يترك كل هذا ويعود إلى مهمته الأساسية.
في النهاية وصلوا لحلٍ وسط أن يعمل الجيش ويصبح إيراد هذا العمل للدولة لا للجيش، باختصار لا زيادة في نسبة الجيش في الميزانية.

في العام التالي نجحوا في زيادة الدعم النقدي للشعب، وتثبيت قيمته النقدية عبر مرور الأزمنة، وحذف نصف نسبة الدعم النقدي من قانون البلاد.
بعض شعوب العالم بل أغلبها لا تنظر للغد، ينظرون دائمًا تحت أقدامهم، مع مرور الزمن وزيادة الأسعار يصبح الكثير قليلًا، هنا تولد الحاج وتلك هي الغاية.

"إذا ساد الثراء فلا حاجة للصانع أن يتقن صنعته"

بل من الممكن الاستغناء عنها، وهذا يضر البلاد، وغلبة الفاقة تجلب الشر والفوضى، هم فقط يدعون إلى العمل، بالعمل تُبنى الأمجاد.
كانت الخطوة التالية فتح باب الاستثمار الخارجي للأشخاص والدولة، مع فرض ضرائب لمن يريد الاستثمار خارج البلاد.

دائمًا ما تأتي أمور طارئة تربكك قليلًا أو كثيرًا، خاصة وإن كانت مزعجة، كلّ ما عليك الهدوء قدر المستطاع ومحاولة المرور بأقل الخسائر، والأهم ألا تسمح لها بالحدوث مرة أخرى.

من أجل هذا ولأوّل مرة منذ نشأة الدولة بعد عشرين عامًا يلجؤون للمنفى الذي كانت تستخدمه أمريكا؛ جعلوه دارًا لتصحيح المسار، كلّ من يخالف قانون البلاد يمكث فيه مدة مدفوعة الأجر، يُلقن فيها معاني العدل والحرية.

بعض الأمور الأخيرة تركت أثرًا في النفوس خاصة سمير الذي ركن للمنصب الذي كان يرفضه، سام أيضًا أصبح يميل للقانون العسكري، قانون القوة معلّلًا أنّ هذا الشعب كان طعامه أوراق الشجر، لا يعرف الذهب من التراب، والفضل للوافدين وهم من يسعون دائمًا للأفضل، ويكرر قول أحد الفلاسفة:

"لا تبحث عن الفضيلة قبل سد حاجتك"

هذا ما جعل أحمد يزور سمير في منزله، زيارة عائلية غير رسمية، بعد الترحاب وتناول مشروب ساخن تركا النساء وجلسا بمكتبه، عند دخولهما انتابت الدهشة قليلًا وجه أحمد حين تذكر عشق ألين للقراءة، المكتبة

مكتظة بالكتب في كل جانب، ظل يلتفت إلى تلك الكتب مبتسمًا، لاحظ سمير هذا فدعاه للجلوس، مازحه عند جلوسه قائلًا:

- لقد علمت الآن، من أين جاءتك الحكمة.

- بادله سمير المزاح قائلًا: مثلك تمامًا؛ لقد قرأت كتابًا واحدًا وآمنت به، ومن بعده أنشأت دولة، ولك الملك فيها.

- قال له متبسمًا: إذًا أنت بكل هذه الكتب تحكم العالم.

- أومأ سمير برأسه: هذا لو كنت أريد.

- لا أظن أنّ هناك دولة أخرى تبحث عن العدل مثلنا.

- سخر منه سمير بابتسامة وقال: كلّ دول العالم تبحث عن العدل، لكن أي عدل؟

- سأله: وهل للعدل أوجه كثيرة؟

- ربما، غير أنّني لست مؤمنًا إلا بالعدل القائم على المساواة.

- قال له أحمد بعد نظرة تملؤها الثقة: وتلك غايتنا.

- نعم أعلم ذلك، لكن اسمح لي بسؤال.

- أشار له بيده وهزة بسيطة من رأسه: لك ما شئت.

- حدثني عن وجه العدالة في قراركم بخصوص الدعم.

- أجابه أحمد: الدولة ليست جيشًا ونظامًا، كان علينا أن نتشبث بجميع فئات الشعب، والحفاظ عليها، هذا يدعم الاستقرار.

- بنفس الابتسامة سأله سمير مرة أخرى: الاستقرار يصب في مصلحة من؟

- الجميع بالطبع.

- ربما على المدى البعيد وبالقليل، لكنّه في المقام الأول يصب في مصلحة النظام الحاكم.

- هزّ أحمد رأسه يمينًا ويسارًا وهو يقول: لا.. لا أخالفك الرأي، الدولة كالأسرة؛ والخير يعم الجميع، والأب راعٍ وهو أعلم بالمصلحة.

- صدقت، مع العلم أنّ الآباء أمام حاجة أبنائهم يؤثرون على أنفسهم.

- نعم، لكن الغلظة مطلوبة في بعض الأحيان، خاصة إذا شعرت ببعض الانحرافات.

- هنا صمت سمير قليلًا واستطرد قائلًا: الغلظة هنا واللين واليسر هناك.

- نظر إليه أحمد في دهشة يسأله: ماذا يقصد؟

- فتح باب الاستثمار الخارجي.

- بعد ابتسامة خفيفة من أحمد علق: حتى في هذا لنا حجة.

- وما حجتك؟

- قال له أحمد: انظر لكلمة الاستثمار باللغة العربية وتأملها، إنها شديدة الشبه بكلمة الاستعمار، ووزنها اللغوي واحد لا فارق بينهما حتى في المعنى أحيانًا، وأي دولة كبيرة تسعى دائمًا للاستعمار.

- حدقت عين سمير سائلًا: لِمَ؟

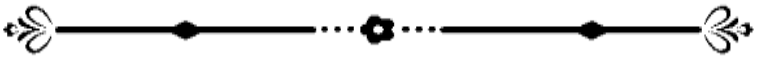

- أكمل أحمد حديثه: انظر لقيء عصاة ومساحتها لا تناسب حلمنا، دولة العدل لا حدود لها.

- خرجت من سمير قهقهة وأردف؛ وهل في الاستعمار عدل؟

- ليس استعمارًا، بل هو استثمار، الوجه الحسن، في الاستثمار فوائد زيادة الدخل القومي لنا ولهم، وزيادة فرص العمل لعقود عدة.

- انتقل سمير لموضوع آخر يسأله: ماذا عن السجون؟

- ليست سجونًا، بل دار لإعادة التأهيل.

- عاود سمير مرة أخرى لنفس الابتسامة: ليست بالمسميات، السجن سجن حتى لو كانت أسوار منزلك سياجه.

حاول أحمد الرد لكنه قاطعه: حتى وإن كانت فهي دار يلقن فيها الولاء للملك.

- قال له أحمد: لا.. الولاء للوطن.

- قاطعه سمير مرة أخرى: هذا يستدعي سؤالًا آخر، ما الوطن، نظام حاكم، أم رعية؟

- جاوبه أحمد مشمئزًا: تحاول دائمًا التفرقة والتصنيف، الوطن كالسفينة، ترى الجميع يعمل لصالح قائدها، وفي الحقيقة جميعهم يريدون النجاة والعبور.

قال له ذلك وأشار له بيده مطالبًا إياه بعدم الكلام وانحنى بجسده للأمام وأغمض عينيه محاولة منه لأخذ نفس عميق وبعد ثوانٍ عاود النظر إليه قائلًا بعد خروج هواء ساخن من صدره:

- كلما أرجع بالذاكرة أسأل نفسي، ماذا فعلت، ماذا تعلمت، وهل نجحت، أم أخفقت؟

- ابتسم سمير قائلًا: على رسلك يا أخي، كل هذا داخلك، دع لي الإجابة.

- أومأ برأسه بالموافقة فأكمل حديثه: أما عن الأول، لم أفعل شيئًا لكني أحاول دائمًا، والثاني، تعلمت... إذا سقط أحدهم في الخطيئة، هذا لأنه مرّ بالتجربة، ونحن لم نمر، بالتالي من المحال الحكم على المبادئ، كل شيء يتغير عند المواجهة، أو كما قال قائلًا:

"ربما تجد شخصًا ثائرًا، لا يميز غث الكلام من سمينه، وفي الخفاء كان مسالمًا، حتى رأى من يلوث عرضه"

- نظر له أحمد نظرة إعجاب ثم سأله عن الثالث.

- قال له وعيناه مشفقتان: ما دمت تحاول، فأنت في الدرب الصحيح.

- لكني أشعر بغير ذلك، بل أيقنت أنّ الخيانة آتية لا محالة، لكن من أين، أو ممن؟ لست أدري، هذا ما جئت إليك من أجله، لكن دعني أفصح لك عن آخر سؤال.

- عاود سمير الابتسام لكن هذه المرة ابتسامة صافية من صديق لصديقه: تفضل.

- قال له وسط هذا الكم من الكتب وغيرها، ما أعظم الكتب؟

- نظر له سمير نظرة ثقة وقال: كتاب الله وسنة رسوله، قال ذلك وأتبع: لا نقاش ولا جدال.

- قال بنبرة حزن وحسرة: نعم صدقت؛ يبدو أني أخطأت في اتباع غيرهما، هل يغفر الله لي؟ ما فعلت أي شيء إلا وكانت نيتي صالحة، لكن النية الصالحة لا تصلح العمل الفاسد، يبدو أنني أخطأت في كل شيء كما أخطأ أفلاطون في هذه الفُرقة، الآن وقت التصحيح، بسم الله الرحمن الرحيم "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا " سورة الحجرات.

ذكر الآية واختار الصمت لثوانٍ، ثمّ عاد للحديث مرة أخرى رافعًا رأسه: حان وقت الانخراط.....

- نظر له سمير في دهشة يسأله ماذا يقصد؟

- ليس هناك مجال مقصور على أحد، إلغاء قانون الزواج، لا يجب أن نترك الجيش في عزلة هكذا، الأمر الثاني لابد من وجود جبهة داخلية لحفظ الأمن الداخلي.

- عارضه سمير سائلًا: من أي فئة يتم اختيار عناصرها؟

- سخر منه أحمد: لا وجود لهذه الكلمة من بعد الآن.

- حدقت عين سمير وقال: يبدو أنك تخشى من شيء.

- لا والله، ما أخشى شيئًا غير هذا الصدع.

"لا وجود لشيء ثابت على الإطلاق، كل شيء قابل للتغيير، فقط إذا تغيرت الظروف"

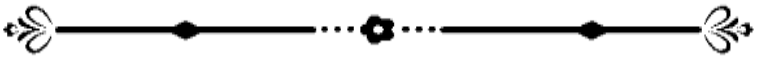

بداية التصحيح

انتهى اللقاء على أمل تنفيذ كل ما جاء ذكره، بعد مرور أيام قام أحمد بدعوى لجلسة سرية لمجلس الشيوخ يقترح عليهم ما هو جديد، حضر الجميع عدا هوري الذي انشغل بالاستثمار والسفر عن كل شيء، كان أول المعارضين سام وبشدة، انقسم المجلس في النهاية لذا وجب عليهم تأجيل النظر في هذه الأمور عدا جهاز الأمن الداخلي، وافق الجميع عليه بلا استثناء، لكن تحت إشراف قادة الجيش، هذا أمر بديهي على الأقل في البداية حتى يتعلموا فنون العسكرية.

بعد أيام تسرب خبر إلغاء قانون الزواج وأنه أصبح بلا قيود أو موافقات، كل مواطن له الحق في الزواج ممن يختاره شريكًا له.

بدأت بعض المناوشات السلمية بين من يؤيد ومن يعارض، هذا التسريب في باطنه رحمة، يستشفون من خلاله بعض الأمور، هو أيضًا دعوة للإنصات.

قاموا بتوجيه جهات الإعلام بتكثيف الحديث والترغيب في هذا الأمر.

تم إنشاء جهاز الأمن الداخلي من جميع فئات الشعب، بدؤوا يجنون ثماره عند اكتشاف تنظيم يقوم بتهريب الذهب خارج البلاد، بالبحث والتنقيب وجدوا هوري له يد في ذلك، بمواجهته لم ينكر؛ متعللًا بأنه شريك في الملك، وما ينطبق على الجميع لا ينطبق عليه.

بكل تأكيد لا وقت للخلاف على الأقل الآن، لكن لابد من تضييق الخناق، وفي المستقبل لن يُسمح بذلك بكل تأكيد خاصة أنّ مثل هذه الأمور تضر بالبلاد.

قاموا بمطالبته بحق الدولة في الذهب والضرائب فأبى هوري ذلك، قرروا التأجيل مرة أخرى لحين المرور بالبلاد من هذه الظروف، لكنّه كان أسرع منهم حنكة، ساند من يعارضهم في قانون الزواج وصرّح بأنّ أي تغيير في القانون لابد من استفتاء شعبي عليه، صرح بذلك في إحدى القنوات الأجنبية، بهذا التصريح عاد بهم للخلف، التفت حوله مجموعة من الشباب، أصبح لبعضهم منبر إعلامي يموله هوري، لم يكن أحمد يفكر أنه سوف يكون النار التي تأكل الأخضر واليابس، صحيح كل إنسان له نصيب من اسمه.

تلك المبشرات تدعو للقلق، تدخل سمير مطالبًا باستفتاء شعبي، وفي الوقت ذاته أعلن دعمه وتأييده لتلك القرارات، وقد كان استفتاء على تلك المواد.

1 - لا فرق بين جميع طوائف الشعب في الزواج.

2 - تثبيت الدعم النقدي.

3 - خروج الأمن الداخلي من عباءة الجيش.

4 - قائد الجيش يتم اختياره من قبل الملكة ومباركة المجلس الأعلى له.

5 - إنشاء جهاز رقابي يخضع له الجميع وله سُلطة قضائية.

قمة السعادة في خروجك من الباب الضيق، إلى الفناء الواسع، وهذا ما فعلوه.

مرت الأيام ورضخ الجميع لحكم الدستور، حتى هوري وإن كان داخله عكس ذلك، لم تكن هناك أية معارضة إلا من سام نور، في بعض الأمور يخالفهم الرأي كثيرًا، لكنه في النهاية ينصاع لهم.

نجحت رؤيتهم في الزواج؛ به يصبح البعيد قريبًا، لتعود الجزيرة مرة أخرى لِما كانت، عائلة واحدة.

النجاح الثاني القرب من الجيش والإمساك بزمام الأمور.

النجاح الثالث كان في الجهاز الرقابي الذي ضيق الخناق حول رقاب كل من تسول له نفسه سرقة البلاد أو الإضرار بها.

هذا الأمر أغضب هوري كثيرًا، لكنّه انصاع للإرادة الشعبية، على النقيض تمامًا راح يهب ويعطي

- دون حساب ـ لكن لا تأمن غدره، لكن ليس بأيديهم شيء يفعلوه، لا يحاسِب بالنيات إلا الله، أما البشر لا يملكون إلا الحكم الظاهري.

مرّ عام بلا أية مشاحنات، بعده بدأت النوايا تطفو أمامهم، طالب هوري لوسين بأن يكون للعائلة القديمة حصانة، متعللًا أنّ هذا النظام متبع في كلّ ممالك الأرض من مشارقها لمغاربها.

قاطعه أحمد ساخرًا: نعم، ربما، لكن هنا دولة العدل، لا يحدث فيها أي تمييز قط.

بادله الحديث قائلًا: إذًا فلنطرح الأمر على الشعب في استفتاء مرة أخرى ليكون الشعب سيد قراره.

خرجت من أحمد قهقهة لم يستطع حبسها وقال: كلّ عام باستفتاء.

كلّ هذا ولوسين تستمع لم تعلق بأي حديث، التفتَ إليها أحمد سائلًا عن سر صمتها؟

نظرت له وطالبته بالهدوء، ثمّ استدارت لهوري طالبة منه الرحيل على أمل النقاش بعد ذلك للوصول لحل يرضي جميع الأطراف.

بعد أن انصرف نظر لها أحمد مندهشًا، هل هذا الأمر يستحق التفكير ولو للحظة، أم أن هواها يميل نحو هذا الرأي؟

دنت منه لوسين وهي تبتسم، ثمّ جلست بجواره واضعة ذراعها فوق كتفه وقالت: يا حبيبي لا تقلق كل شيء على ما يرام، هو طالب باستفتاء ونحن نجيب، لكن هذه المرة الاستفتاء نظامي فقط، يعرض الأمر على مجلس الشيوخ وإذا مرّ من هناك يأتي دور مؤسسات الدولة بالقبول أو بالرفض وهذا هو العدل، الأمر شورى بينهم.

هدأت روحه وعادت له الابتسامة، أما هي مالت نحوه فتعانقا حتى أصبحا جسدًا واحدًا، وبعد ثوانٍ أو دقائق لم يشعرا بمرورها حملها وسار بها داخل القصر حتى الجناح الخاص بهما.

في اليوم التالي اجتمع مجلس الشيوخ لمناقشة اقتراح هوري، الأمر الذي أزعج سام نور وقال: إنّ هذا الاقتراح لا يستحق النقاش، كما كان سمير رافضًا هو الآخر للاقتراح، في النهاية رفض مجلس الشيوخ الاقتراح، مع ذلك لم يرضخ هوري لذلك، بدأ يسلك طرقًا أخرى، يتقرب للعائلة الأم في البلاد؛ للضغط على لوسين، وأوهمهم أنه يفعل ذلك من أجلهم، كل هذا لم يشغل بال أحمد لحظة، ما قصم ظهره حقًا هو هدوء لوسين وصمتها في بعض الأحيان، كأنها تريد تلك الحصانة للعائلة، لأول مرة يشعر بأنه غريب ولو للحظة، ما عادت لوسين كما هي.

في تلك الأيام عاد ابنهما داوود من الخارج، لقد أعاده الله في هذا التوقيت ليبعث الأمل والدفء من جديد، تعلم في إحدى الجامعات العالمية، أصبح مؤهلًا للحكم في أي لحظة، لذلك أسندت إليه لوسين أمور التخطيط في البلاد، شعر أحمد أنّ داوود جاء ليأخذ مكانه، شعور مختلط ما بين سعادة وعزة، وبين ضعف وخوف، هل كلّ أب يصاب بذاك الشعور في تلك المواقف؟

مرت الأيام وهوري لم يتوانَ، أصبح يؤجج الناس وكأنه حامي الحمى، في الحقيقة يبحث عن مصالحه الشخصية يريد أن يفعل ما يريد وقت ما يشاء.

دعا داوود لاجتماع طارئ لمناقشة تلك الأمور على طاولة تجمع ممثلي النظام، وافتتح الاجتماع قائلًا:

- ليس ما دعا له العم هوري هو الأمر الوحيد الذي يستدعي التغيير، لابد من التطور كل ما حولنا يتطور، لا تستمر الحياة أبداً بنمطٍ واحدٍ، لذا هذا الاجتماع للاستماع، فليكشف كلّ منا عما بداخله، وليطرح أفكاره للنقاش.

- لم يكمل داوود حديثه حيث قاطعه سام قائلًا بعد تنهيدة ساخرة: يبدو من البداية أنك مؤيد لمطالبه؟

- أجابه داوود: ما قلت ذلك، لكن وجب علينا جميعًا حسن الاستماع، والأمر شورى، قال ذلك وأشار لهوري بالحديث.

- قال هوري بعد أن نهض واقفًا: أنا لم أرتكب جرمًا حينما طالبت ذلك، تلك الحصانة تعني الهيبة والاحترام، هي حفظ المكانة والداعم للاستقرار وعدم الاختلاط، أليست هذه مزاعمكم، كل عضو قائم بنفسه غير مسموح لأي عضو الاقتراب من الآخر أو شغل وظيفته، إلا اختلفت الأمور، وأنا لن أتطرق إلا لما يخصني، ما طلبت يومًا تغيير رأس الجيش مثلًا، وأعلم جيدًا أنني لن أستطيع ذلك؛ فقط لأنه ليس من اختصاصي.

- قهقه سام نور بقهقهة ممزوجة بالغضب: نعم صدقت ليس من اختصاصك، لكن حفظ البلاد من اختصاصنا ولن نسمح لأحد مهما كان المساس بتلك الثوابت، وهذه هي رسالتنا، وأعلم أنّها لم تعد جزيرة، بل دولة ودولة عظمى والفضل كله للوافدين.

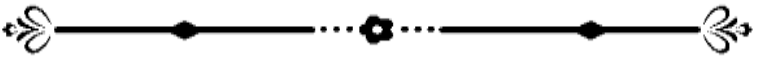

- هنا تدخل سمير: مطالبًا سام بالهدوء، وألا يتطرق لهذا الحديث، مُذكرًا إياه، لا فرق بين وافد ومقيم، جميعنا شعب - قيء عصاة – دولة العدل.

- جاء دور أحمد في الحديث مطالبًا هوري بالعزوف عن مطلبه، خاصة أن مجلس الشيوخ لم يقره، لكنه أبى ذلك.

تدخلت لوسين في النهاية لتؤجل الحديث كما فعلت في السابق، انتهى الاجتماع وسار أحمد ولوسين برفقة داوود الذي برر دعوته للاجتماع لكشف النوايا، وصرح بأنه لا يخشى هوري في شيء، لا في شخصه، ولا فيما ينوي، إنما الخوف كل الخوف من سام، نعم لأن سام يعني الجيش، والجيش السلاح والقوة، وهذا لا يجوز، قال ذلك وصمت قليلًا واستدار نحو أمه قائلًا: لقد حان وقت التغيير.

أصبحت بعض الأمور غامضة بالنسبة لأحمد حتى لوسين تتجاهله، أو هذه هي الحقيقة منذ البداية، اختارته من أجل شعبها واليوم تتجاهله من أجله.

بعد أيام قرر داوود خطبة إيجي ابنة سمير.

اختار لها سمير هذا الاسم تعلقًا بمصر، نعم انظر للاسم مرة أخرى لكن بأحرف إنجليزية - Egy – ماذا شعرت الآن؟

هذه الخطبة أثارت غضب هوري وزادت النار في صدره، أصبح يتحرك في كل الاتجاهات، من المؤكد أنه يريد داوود لابنته، ليس لشخصه، إنما سعيًا وراء الملك.

أصبح لهوري أنصار ومؤيدون، بفضل العطايا والمنح، في هذه المرة أراد خلع سمير من منصبه متعللًا: كيف لوافد أن يكون محامي الشعب، وأنه أولى به بهذا المنصب.

قد انقضت المهلة ونفد الصبر، لم يعد له لديهم مكانة تشفع له، تم استدعاؤه للتحقيق لكنه أبى، كيف له أن يرضخ لمثل هذه التحقيقات وهو يرى نفسه فوق كل هذا؟

في ظلّ هذه الأوضاع تحركت مجموعة من ضباط الجيش بأمر من سام في يوم أطلق عليه يوم الخروج، لتحاصر هوري لتضييق الخناق والضغط عليه.

أخطأ سام في هذه الخطوة، هو يعلم جيدًا أنّ النية الصالحة لا تصلح العمل الفاسد، رغم أن النية الفاسدة تفسد العمل الصالح.

هذا الأمر أغضب الجميع وقاموا بمطالبة سام وضباطه بالرجوع لكنه عارض، مما أدى إلى تطورات بعد ذلك لم نتوقعها، تحرك البعض من أنصار هوري نحو مسكن سمير لحصاره، أو إجباره على ترك منصبه، وفي الوقت نفسه تحركت مجموعة من الأمن الداخلي مدعمة من الجيش؛ للحاق والتصدي لأي محاولة تهدد استقرار البلاد.

زادت الأمور حدة، خاصة أمام منزل سمير، انتابها بعض المناوشات بالأيدي والعصي والحجارة، في الوقت ذاته تسللت أيدٍ غاشمة واغتالت سمير، مات رفيق الدرب، الوجه البشوش، العقل الحكيم، القلب النابض، آخر روائح

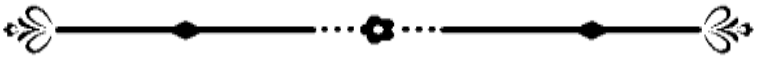

الماضي، شعر أحمد أنه وحيد الآن، كل يوم يمر تزداد الفرقة بينه وبين هذه الأرض، الآن يشعر بغربته يندب حظه، آه سمير، ماذا فعلت حتى تستحق تلك النهاية، ذنبك أنك أحببت فأوفيت، وعاهدت فصدقت، وحكمت عقلك قبل قلبك فأخلصت، تلك النهاية، نعم، إنها النهاية، لكن لن تكون النهاية إلا بمعاقبة قاتليه مهما كانوا.

سارت الاتهامات تشير للجميع، الظنّ الأول هم أنصار هوري، ومن غيرهم؟ هم من تحركوا نحو منزل سمير لمحاصرته، الظن الثاني أن أحد ضباط الجيش - أتباع سام وأنصاره - هم من فعلوا ذلك للوقيعة.

قرر أحمد محاكمة كل من كان هناك في تلك اللحظة، لكن لم يستطع وكانت المفاجئة فقد عارض داوود ومنعه من ذلك، متعللًا أنّ مثل هذا إن حدث يزيد الفرقة، هذا ما حدث قديمًا مع الصحابي الجليل علي بن أبي طالب في مقتل عثمان رضي الله عنهما، حينها رفض علي أو أجل، هنا استسلم الوالد لرغبة ابنه وقرر العزلة وربما قريبًا الرجوع إلى مصر.

هذا ما قررته ألين وابنتها – ترك البلاد – بعد مراسم الدفن، أما أحمد لم يستطع الحضور وكانت النهاية بالنسبة له (اختيار العزلة).

"أحيانًا تتمثل لك الدنيا في شخص، وقتما رحل ترحل معه الدنيا"

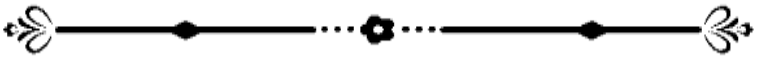

بعض التفاصيل في مقتل سمير

في تلك الليلة قد نشب خلافٌ بين سمير وألين، فقد أيدت ألين قرار حصار الجيش لهوري بينما رفضه سمير، في النهاية كان القرار إصدار سمير بيان يدين فيه هذا التحرك، لكنه لم يستطع، خاصة بعد محاصرة الجيش له، بحجة حمايته من أي هجوم متوقع، زاد التوتر داخل المنزل، بعد ساعات قليلة وصلت مجموعات صغيرة من الأهالي تستنكر صمت سمير، هذا ما أغضبه كثيرًا، نوى الخروج لهم والحديث معهم، لم تكن المعارضة هذه المرة من الجيش فقط، المعارضة الأكبر كانت من ألين، كأنها كانت تشعر بأمر ما سوف يحدث، في النهاية خرج سمير وحاول الحديث، لكن مع ضجيج من حوله لم يفلح، حاول مرة بعد مرة حتى سقط من بين الناس رجلًا - مصابًا أو قتيلًا- لا نعلم صفته، أو من أي طرف، لكنه كان الشرارة الأولى للمناوشات التي دارت، لم يستطع أحد جذب سمير للداخل، كان مقاومًا لهم رافضًا أن يترك الجميع في هذا الوضع، وقف يناشد ويدعو الجميع للتهدئة، ما أسكته إلا ضربة غاشمة مجهولة، وقتها شعرت ألين وابنتها بالانكسار، فقدان الأمل، أو الخوف من المستقبل، قررت ألين الرحيل بعد مراسم الدفن وطالبت الملكة لوسين بنقل الجثمان للقاهرة بعد المراسم، لم يوصِ سمير بذلك، لكنها تعلم جيدًا مدى تعلقه بوطنه القديم،

هذا الطلب قوبل بالرفض من قبل لوسين وأقنعت إيجي أمها بالعدول عن هذا المطلب، خاصة أن وجهتهما في المستقبل للولايات المتحدة الأمريكية لا للقاهرة.

كل هذا أصبح في مهب الريح بعد زيارة داوود لهما، في البداية أبت ألين مقابلته ودخلت غرفتها؛ لقد علمت ما دار بينه وبين أبيه ورفضه محاكمة الجناة.

بحكم المحبة ومكانته في قلب إيجي عصت أمها وفتحت له الباب، رحبت به بنظرة عين لامعة، لكنها ليست ككل مرة؛ بريق الدمع يختلف كثيرًا عن أهازيج السعادة، استأذنها في الدخول، هزت رأسها بالموافقة، ترجل حتى وصل عند صورة والدها، وقف أمامها ثم قال:

- رحمك الله يا عمي.

- خرجت ألين ثائرة من غرفتها وهي تقول: عمك! أحقًا ما تقول؟

- التفت إليها قائلًا: نعم، هل تنكرين حب علي لعثمان؟

- لكنك لست بعلي، ولا سمير كان الخليفة.

- استدار داوود نحو إيجي وتأبطها ثم قال: إن لم تكن هذه الأرض وطن آبائنا، فهي الوطن بالنسبة لنا، واجبنا نحوها الدفاع عنها حتى الموت.

- سخرت ألين منه بهمهمة: دافع عنها وحدك، إنّا راحلون.

- عاود النظر مرة أخرى نحو إيجي سائلًا: كيف لملكة أن ترحل وتترك شعبها؟

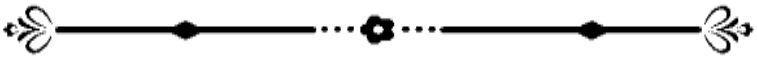

- هنا خرجت إيجي عن صمتها في دهشه تسأله: ماذا؟

- عاود الحديث وهو يطأطئ رأسه: نعم لقد حان اقتلاع تلك الرؤوس القديمة؛ لن نصبح كيانًا واحدًا حتى تنتهي تلك النغمة، لا تصنيف ولا فئات، الكل واحد، ولن يحدث ذلك إلا بخلق جيل جديد جميعه من أبناء هذا الوطن.

انتهى اللقاء وإيجي تكاد تكون مقتنعة بما يدور في رأس داوود، خاصة أن الجاني غير معلوم، أو بالأدق ليس شخصًا، هل الجيش الذي منعه من إذاعة البيان، أم رجال هوري الذين خرجوا لحصاره، هذا ما حدث مع الصحابي الجليل علي بن أبي طالب، في مقتل الصحابي الجليل وخليفة المسلمين، من اشترك في قتل عثمان كثر، غير أنه خشي الفتنة وهذا ما حدث.

تفاصيل أخرى

ذهب هوري بعد أن علم بنية داوود في خطبة إيجي، اتجه ثائرًا لملاقاة الملكة وزوجها، لكنّها خشيت أن يحدث صدام بينه وبين أحمد طالبته أن يكون اللقاء سرًا.

في اليوم التالي ذهبت لوسين لزيارة العائلة ومقابلته هناك، وجدته أحضر مجلس العائلة، نظرت إليه وهي غاضبة، لاحظ هو ذلك وقال:

- ليس أحد هنا بغريب، إلا لو استمرت تلك الخطبة، نصبح جميعنا غرباء.

- نظرت إليه متعجبة: ماذا تقصد؟ القلب له ما يريد.

- نعم إلا هنا، لقد وافقنا على زواجك بأحمد لأنّ الحكم والملك لكِ ليس له.

- علقت على حديثه سائلة: وماذا جد الآن؟

- أنتِ كما تعلمين أنّ داوود على دين والده، وأيضًا إيجي، فإذا تزوجا

- وصار الملك لهما، أين نحن حينذاك، لذا لابد أن يتزوج داوود من فتيات العائلة، قال ذلك وصمت قليلًا ثم عاود الحديث: هذا إذا أراد المُلك، وإن لم يفعل، لن نستسلم لذلك.

- قالت له باشمئزاز: أنت تفعل ذلك من أجل ابنتك، لا من أجل العائلة.

- رد ساخرًا: وهل هناك فارق بين ابنتي والعائلة، قال ذلك وأتبع: اعلمي أنكِ إلى الآن ملكة هذه الأرض بفضلنا، انظري إلى الأمر جيدًا، الجيش ليس في حيازتك، ماذا لو فقدت العائلة والشعب؟ تصبحين ملكة بلا مُلك، معي تعود الأمور إلى نصابها.

- نظرت إليه صامتة تفكر فيما يقول، ربما معه الحق في بعض الأمور، لكن الحق كله في كلام داوود، حان وقت التغيير.

- لاحظ هوري صمتها فقطع شرودها سائلًا: ما قولك الآن، لازلت أنتظرك.

- أجابته: أنا منذ البداية مع شعبي وعائلتي ولن أتخلى عنها يومًا.

ابتسم هوري وظن أنهما اتفقا على كل شيء، وسارت الأمور بشكل جيد، لكنّه فوجئ بإعلان الخطبة بعد أيام، قرر التصعيد وخلع سمير من منصبه وحدث ما حدث، ظن هوري بموت سمير ورحيل الزوجة وابنتها يكون الطريق مفتوحًا أمام ابنته، لكنّ داوود نجح في إقناعهم بالبقاء واستمرار الخطبة.

تيقنت لوسين أنها لم تكن النهاية، ولهوري رأي آخر، دعته للقاء يجمعهما دون غيرهما؛ انشغل داوود بخطبته وأمور البلاد، وانعزل أحمد عن كلّ شيء.

في كلّ مرة يأتيها هوري يحمل في طياته تهديدًا جديدًا، ظنّ أنه امتلك الشعب والعائلة، دار برأسها أنه لابد من تدبير ينهي كل تلك المهاترات، أو اتفاق يعيد الأمور لنصابها، في الوقت ذاته استفحل سام بعد موت سمير

وعزلة أحمد، شعر أنه فارس الميدان الأوحد، عارضهم في كل شيء واستسلم له الجميع إلا في مقتل سمير، هو من ساعد نار الفتنة على الاشتعال بخروجه، لذا قامت لوسين بتعديلٍ بسيطٍ في قادة الجيش وخلع بعض الرموز التي شاركت أو دبرت في يوم الخروج، ناكفهم سام في البداية، لكنّه وجد نفسه محاصرًا من الجميع، خاصة أنّ مجلس الشيوخ ساندها في ذلك وفئات من الشعب.

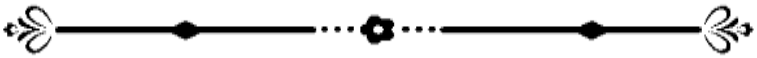

مواجهات صعبة

أصبحت الآن المواجهة بين سام وهوري أكثر حدة، كادت أن تطال أحمد، عندما طالبت بعض الفئات بمحاكمة المتسببين في قتل سمير، والوصول للجناة والقصاص منهم، تبادل سام وهوري الاتهامات فيما بينهم، ولازال هوري لا يخضع لأي تحقيقات ويصر على مطالبه، في النهاية قال: إذا أردتم مني الخضوع لقانون البلاد فلنبدأ بأحمد، لقد أخطأ في أشياء كثيرة، وتلك العزلة خيانة، ألم يكن ترك الميدان في تلك الآونة ونحن نحارب فكرًا وتطرفًا قد يؤدي بالبلاد إلى ما لا يحمد عقباه.

ما قاله هوري أوجب على لوسين لقاءه مرة أخرى، أرادت منه إنهاء تلك الأمور وله ما يريد، لكنه فاجأها؛ ما زال مصرًا على خطبة ابنته من داوود، وعندما أخبرته أنّ الأمر خارج إرادتها ومن الصعب بل من المستحيل أن يرضخ داوود لذلك.

أرادت لوسين بتلك المبررات إقناعه وإن كانت تلك هي الحقيقة إلى حدٍ ما، استمع هوري لها جيدًا وفي النهاية كان له رأي آخر حيث قال:

- أنا لن أجادل معك فيما تحدثتِ به، لكن إذا كان الأمر كذلك فلينقل العرض.

- قالت له في دهشة: أي عرض؟

- الزواج.

- نظرت إليه ولم تتحدث لكنْ عيناها محدقتان تسأله: ماذا؟

- طأطأ رأسه وخطى خطوتين نحو النافذة وأشار بيده نحو الجزيرة القديمة وهو يقول: لنعد من حيث جئنا.

- قالت له غاضبة: أفصح عما تريد.

- استدار نحوها مبتسمًا وقال: نتزوج.

- ارتجف جسدها وتلعثمت كلماتها: من، كيف، ماذا؟

- عاود الابتسام قائلًا على رسلك يا ابنة العم، أنا أولى الناس بك منذ البداية، لكن لا يهم، الأهم أنكِ بين يدي الآن.

- انتفضت من مكانها ونفرت عروقها وقالت غاضبة: ويحك أجننت؟

- اندهش قليلًا من ردة فعلها وقال: لقد طالبتكِ بالهدوء قبل ذلك، ولنفكر معًا، كان زواجك من أجل هذه الأرض وبقائها، واليوم نفعل من أجل الاستمرار والقوة، قال ذلك وقبل أن تعلق بأي شيء قاطعها قائلًا:

- صدق داوود حين قال: لقد حان اقتلاع الرؤوس القديمة، هذه الأرض ملكنا ونحن أهلها، لابد من عودتها إلينا.

نزلت تلك الكلمات على مسامعها كالصاعقة؛ كيف علم بها؟ لم يخبر بها داوود أحدًا، لابد من وجود عيون داخل القصر، أصبح هوري مخيفًا جدًّا بالنسبة لها؛ لقد توغل في كل شيء، اختارت الشرود فيما يطرأ على عقلها، أما هوري فطلب الرحيل فأذنت له.

بعد أن رحل أسرعت في الدخول على زوجها تناشده ليس هذا وقتا للعزلة، وإذا أصر فستكون خيانة ليس للوطن وحسب بل لها.

قطع شرودها صوته يقول:

- نعم وما جزاء الخيانة إلا القتل، لكن والله سمير ما خان.

- نظرت إليه في دهشة لا تفكر فيما قال، لكن كيف سمع ما يدور في رأسها.

- عاود حديثه مبتسمًا: أسمع صوت رأسك، وأسمع أناتك وأشعر بالهواء إذا تخلل يومًا بين الثياب وجسدك، ألم نكن وما زلنا كيانًا واحدًا؟

- قالت له بصوت أجش: بالطبع، ثمّ عاودت الهدوء وبصوت رقيق: لكنّك تخليت عني، أكل هذا من أجل سمير؟ وكان لم يبقَ لك أحد من بعده.

ابتسم ابتسامته المعهودة وطلب منها الجلوس بجانبه، فعلت ما يريد وبعد أن جلست وضع يده فوق كتفها وهو يقول: أنتِ العالم كله بالنسبة لي، وإذا كنت أحب داوود لأنه منك، وحبي لهذا الوطن لأنكِ منه، فأنتِ كل شيء وأي شيء بجوارك لا شيء، فلا مقارنة بينك وبين غيرك.

أسعدها حديثه حقًا، لقد أخذها للأيام الخوالي، حيث البداية، يعيشان الحلم معًا، ويغوصان في خطواته حتى يتحقق، هزموا المستحيل، تحدوا الصعاب، أصبحوا قوة بعد ضعف، وثلة بعد قلة، ودولة لها قدرها بعد أن كانوا قبيلة مستضعفة.

لاحظ أحمد شرودها ناداها، انتبهت له فقال: لا تظني عزلتي فراقًا أو تخليًا - لا والله - رغم أني لا أنكر قتل سمير قتلني، لكن ليس لهذا السبب، شعوري بالعجز ورغبتي في الانتقام، تلك المشاعر لا تلتقي داخل الإنسان إلا وفتكت به أو بمن حوله، سمير كان يمثل الماضي والحاضر معًا، ما رأيت منه شرًا قط، فكيف تكون تلك نهايته.

ربتت على كتفه قائلة، لا عليك، أشعر بما أنت فيه، المصاب جلل للجميع، وصدقت كلماتك عنه، قالت له ذلك وهي تتنقل من تربيت على كتفه لضمة مقبلة رأسه، واستطردت بعدها قائلة: ما رأيك في إنشاء مدينة جديدة يطلق عليها اسمه؟ تخليدًا لذكراه.

نظر لها وعيناه ترقرقان بالدمع يصاحبها ابتسامة خفيفة، علمت منها أنه يوافقها الرأي. ساد الصمت بعدها لدقائق تحاول فيها الانتقال إلى حديث آخر، لاحظ ذلك فقال:

- أنتِ غير راضية بهذه العزلة، أليس كذلك؟

- في الحقيقة، نعم.

- قال لها: لابد منها، حان وقت التغيير، وتسليم الراية لجيل جديد.

- صاحت قائلة: أنترك داوود يواجه وحده وإذا كان ذلك علينا اقتلاع كل الرؤوس القديمة أولًا ونخلق جيلًا جديدًا ليس له وطن إلا هذا، ومقاليده في أيدي داوود وحده، لقد حدث الكثير وأنت في عزلتك.

حاول التعليق أو السؤال عما حدث، وضعت كفها فوق فمه قائلة:

- أنا لا أسألك متى العودة، لكن لابد أن تعود.

- أومأ برأسه مرتين، وقبل أن يكملا حديثهما أخبرتها إحدى الوصيفات بأنّ سام ينتظرها بالخارج يريدها، خرجت له.

وجدته ينتظرها واقفًا، وملامح الغضب ظاهرة بقوة على وجهه، يفرك أصابعه، عندما لمحها أمامه اندفع نحوها حتى دنا منها قائلًا:

- علمت بمقابلة هوري منذ قليل، وأعلم بما يدبره، ولن أسمح لأحد مهما كان أن يهدم الحلم.

- ضحكت لوسين في ألم وبعد شهيق وزفير ساخن نظرت نحوه قائلة: إذًا نحن مخترقون من الجميع.

- بادلها الضحكات بضحكة ساخرة: أهذا ما يهمك؟

- هزت رأسها مرتين: على الأقل الآن بكل تأكيد.

- تابع حديثه: أطمئنك ليس الأمر هكذا، لكن إذا تعلق الأمر بالوطن واستقراره، الغاية تبرر الوسيلة.

- أي غاية، كيف آمن على نفسي إذًا؟

- لا داعي للقلق، ومن أجل ذلك جئت إليك.

- أشارت له أن يكمل حديثه دون أن تعلق بأي كلمات.

- عاود الحديث مرة أخرى لكن بكلمات متقطعة حيث قال: إذا كان لابد من التغيير واقتلاع الرؤوس القديمة، فأنا لا أمانع، لكن من يشغل مكاني بعدي ابني، هذا حقي عليكم.

- نظرت له بدهشة واتسع بؤبؤ عينيها نحوه وصاحت قائلة: ماذا تقول؟ ليس هذا من العدل.

- خرجت منه همهمة أتبعها: وهل النظام الملكي في البلاد هو العدل، يا عزيزتي دولة العدل ليست عادلة، هذا الأمر جعلته الأنظمة لترضي الشعوب، قال ذلك واستطرد سائلًا: أين الشعب مما نحن فيه الآن؟ صمت قليلًا بعد هذا السؤال، ثمّ عاود الحديث: دعك من كلّ هذا، إذا كان النظام ملكيًا يورث الحكم، إذًا المناصب تورث، هذا هو العدل إذا كنتم تبحثون عنه.

- بعد أن سمعت حديثه حركت رأسها يمينًا ويسارًا متعجبة مما يقول، سألته: أين ذهب سام نور، بشعارته القديمة؟

- جاوبها بقهقهة ساخرة: لا شيء ثابت في الوجود، لقد خلق الله كل شيء يدور داخل دائرة مغلقة، وأنا فقط أُكِمل الدائرة، انظري معي نحن نعيش فوق سطح دائرة مغلقة، وحياة الإنسان ما هي إلا عودة لنقطة البداية، من تراب لتراب، ومن ضعف إلى ضعف، والأمثال كثيرة.

- نظرت له في صمت لم يدم، أرادت إنهاء المقابلة، طلبت منه فرصة للتفكير.

تركها ورحل، أما هي اتجهت إلى حيث كانت، تعاود اللقاء بزوجها تسأله فيما يحدث، وترجوه ألا يتركها وحدها في تلك الظروف.

عند دخولها وجدته ينظر إليها نظرة حزن وحسرة، في البداية ظنت من أجلها، لكن الأمر ليس كذلك، تيقنت عندما تحدث قائلًا:

- آه من الدنيا، إذا نظرت إليها تظن أنها متقلبة، وفي الحقيقة لها مسار واحد، يسير بنا إلى النهاية، كل شيء ثابت والأشخاص تتبادل الأدوار....

لقد صدق سام حين سأل عن الشعب فيما نحن فيه، هل نحن نبحث عن الاستقرار من أجله، أم استقرار الشعوب يولد من رحم استمرارية النظام؟

أظن أننا نفكر في أنفسنا أكثر من اللازم، فليس من المنطق أن يكون مصير الأمم في بقاء الحاكم، حتى وإن كان ذلك يدعم الاستقرار، حالة من التخبط أعيشها، ولا أدري إن كنا على صواب، أم اتبعنا الهوى؟

حديثه دعاها للابتسام، قالت داخل نفسها: لقد جئتك أبث إليك همي، وجدتك مهمومًا أكثر مني، قالت ذلك واختارت الصمت برهة، ثمّ عاودت الحديث:

- لكن ما أجمل الخروج من الباب الضيق إلى الفناء الواسع.

- بادلها الابتسامة وعيناه تلمعان ببريق ولم يعلق.

- فسألته: أليس هذا حديثك؟

- نظر إليها وهو يهز رأسه: نعم، وهذا ما نبحث عنه.

بعد أيام قررت الملكة لوسين التخلص من الحرس القديم وبعض العاملين في القصر، كأنها تخطو أول خطوة في اتجاه التغيير، أرادت بها أيضًا التخلص من العيون الكاشفة داخل القصر، بعد أن فرغت من تلك الخطوة، أصدرت مرسومًا ملكيًا بالحصانة الملكية للعائلة، هذا ما نادى به هوري منذ البداية، رغم أنها لم تفعله من أجله بل من أجل العائلة، هذا الأمر أسعد هوري للغاية، وعلى النقيض أغضب سام نور، لكنها كانت تحتفظ في جعبتها بأمر يسعد سام أيضًا، كان أول الزائرين لها بعد تلك القرارات هوري، جاء يبارك ويمني النفس بالمزيد، عندما التقيا كانت لوسين جالسة فوق عرشها، بعد أن ألقى التحية والسلام قال لها:

- لقد عادت إلينا لوسين، كما عادت الجزيرة لأصحابها.

- ابتسمت لوسين وأردفت: هل أنت راضٍ عما حدث يا هوري.

- بكل تأكيد، وفي انتظار المزيد.

- نظرت إليه بطرف عينيها سائلة: وما رأي العائلة؟

- هذا الأمر أسعدهم كثيرًا.

- عاودت الحديث مرة أخرى لكن في هذه المرة تركت عرشها وسارت على الأقدام بخطوات ثابتة ثم التفتت نحوه قائلة: أما أنت إذا كنت تبحث عن المزيد فلك ما تريد.

- حدقت عيناه وخرجت من صدره تنهيدة تسألها: ماذا؟

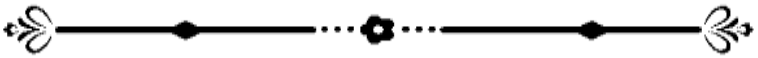

- ضحكت لوسين ولم تتأخر في الإجابة، قالت وهي تشير بالسبابة نحوه: عليك أن تنتظر تغييرًا في الجيش يسعد الجميع أيضًا.

- ابتسم هوري وبدت على وجهه السعادة فقال: بالطبع، لكن أين ما يخصني؟

- هنا ضحكت لوسين سائلة: ألست من العامة؟

- بعد تلك الكلمات تغير لون وجهه وتبدل حاله قليلًا وتابع قائلًا: أظن ذلك.

- أجابته وهي تريد تهدئته: نعم صدقت، لكن أرجوك يا ابن عمي دع داوود وشأنه.

- قال لها متعجبًا: وما دخل داوود في ذلك؟ وبعد أن وجه لها هذا السؤال استطرد قائلًا: كل شيء في طريقه للعودة إلا أنتِ، فمتى؟

- علقت على حديثه: لا أحد يعلم ما في الغيب، ولعلّ المستقبل يحمل إلينا ما نأمله.

- نظر إليها متوسمًا وأتبعها: نحن على يقين بذلك ما دمت معنا، وتفعلين ما يرضينا.

رحل عنها هوري وهو يفكر فيما حدث، ظنّ أنّ تلك الخطوة هي البداية لطريق العودة، ليست عودة الجزر وإنما عودة لوسين، خاصة أنّها فعلت ما كان يأمله ويرفضه زوجها، جلس يحدث نفسه: من المؤكد أنّ العلاقة بينهم لم تصبح كما كانت، لقد شعرت لوسين بالخيانة، من الصعب أن يترك الرجل

زوجته في تلك الظروف، مهما كانت قوتها أو سلطتها، في النهاية وهذا هو الأهم لقد اعتادت لوسين على عدم وجوده وهذا ما نسعى إليه.

على الجانب الآخر بدأت لوسين تستقبل بعضًا من ضباط الجيش، تستفسر منهم عن الأمور التنظيمية، وبعضًا من الأمور الأخرى، تستشف منها من كان ولاؤه للوطن ومن لغيره، علم سام بتلك التحركات فقرر زيارتها، ليس من أجل هذا فقط، إنما لم يرضِه ما حدث في الفترة الأخيرة خاصة الحصانة الملكية، التي كان يرفضها هو وأحمد، وقد جاءها ثائرًا، عند رؤيتها قال لها: حذرتك قبل ذلك من أي فعل، وقد كان، ومنذ هذه اللحظة لم يعد بيني وبينك أي حديث، ولقد جئت إليك اليوم من أجل أحمد فقط أسأله: هل هو راضٍ عما يحدث؟ وإذا كان يرضيه ما يحدث، فلا يلومني بعد ذلك.

سمعت لوسين منه تلك الكلمات وهي تحدق في وجهه كأنها تدرس ملامحه، ثمّ علقت بعد صمت:

- أشم في حديثك رائحة تهديد، ويبدو أنك نسيت أمرين، أولهما أني ملكة هذه الأرض، والثاني أحمد اختار العزلة، ومن اليوم بل منذ البارحة لم يعد موجودًا وقد انتهى.

- قبل أن يعلق سام بأي حديث دخل هوري عليهما يقتحم حديثهما وهو يصيح: نعم حقًا لقد عدت إلينا اليوم يا لوسين كما عادت الجزيرة.

- استدارت نحوه لوسين في دهشة تسأله: من أذن لك بالدخول؟

- أجابها وهو يتلجلج: علمت بما ينوي، أردت أكون بجانبك.
- نظرت له وبصوت غليظ: عد من حيث أتيت.
- حاول سام أن يوجه لهما كلمات لكن لوسين أوقفته: الأولى أن تفكر فيما يخصك، اسأل نفسك كيف علم هوري ما تنوي؟
- خرج هوري وأكمل سام حديثه: لقد استفحل هوري والفضل لكِ.
- ابتسمت لوسين ابتسامة ساخرة وأتبعت داخل نفسها: هذا ما نسعى إليه، ثم صوّبت عينيها نحو سام تخبره: لا تقلق نحن نسعى للتغيير في كل شيء، حتى الجيش، حانت الفرصة لاستقبال ملك جديد وأعوان جدد، نحن نستعد الآن لحفل زفاف داوود، وبعدها تنصيبه ملكًا، وولدك قائدًا للجيش، قالت ذلك واستطردت بسؤال: أليس هذا ما تريد؟

لا أحد يعلم ما يدور في رأس لوسين، كيف استسلمت لرغبتيّ هوري وسام؟ رغم أنهما غير متفقين، ربما ما حدث وقد يحدث يخلق انقسامًا، أم أنها تريد المرور من تلك المرحلة حتى يتزوج داوود، ويتوج ملكًا، حتى وإن كانت تفكر في ذلك، ما قررته لوسين نحو هوري جعلته يستفحل في بعض الأمور، يحتكر بعض السلع، يمتنع عن المنح والعطايا، يستثمر في كلّ شيء، حتى وإن كان على حساب الشعب والعائلة، أثار ذلك غضب البعض حتى داوود جاء لوالدته يعاتبها فيما يحدث، طالبته بالهدوء، وبرفق الأم بولدها وجهته قائلة: دعك مما يحدث، لقد جاء دورك، في الأيام الماضية التفت

العائلة وبعض من الأهالي حول هوري، وهذا ما لا نريده، والآن عليك أن تكون لهم الملجأ والخلاص، دعه يفعل ما يفعل ليصبح وحيدًا.

سكت داوود للحظات يتأمل حديث والدته، ثمّ عاود الحديث سائلًا عما تنوي في قيادة الجيش وابن سام؟

ابتسمت له لوسين وهي تقول: أليس هذا ما تريد؟ قالت ذلك واقتربت منه وهي تردد كلمات، الكلمة تلو الأخرى لن نُبقي عليها من أحد يبارزك في الملك، أو للمشاركة - حتى أنا - فالكل راحل، ذلك حكم القدر.

علق داوود ضاحكًا: والشعب؟

أجابته: أي شعب يقوده العاطفة.

جرت الأمور كما أرادت لوسين، ساد الهدوء وامتثل الجميع، خاصة مع اقتراب حفل زفاف داوود، لم تجد أية صعوبات إلا بعض المناوشات بين سام وهوري، أما سام رغم موافقته بالحصانة الملكية إلا أنه لازال يضيق الخناق قدر المستطاع على هوري، إن لم يكن يستطع الاقتراب من هوري فمن المؤكد رجاله لا يمتلكون تلك الحصانة، هذا ما جعل هوري غاضبًا، لا يريد سام أو ابنه في أية مناصب، غير أنّ هوري ما زال متمسكًا بطلبه، إن لم يكن الابن فالأم موجودة، في كل مرة يذهب إليها يذكرها بذلك.

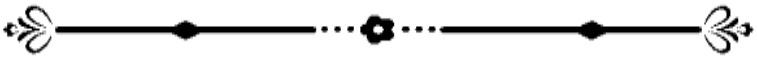

في آخر مرة التقيا قالت له يدع هذا الأمر للمستقبل، فلا أحد يعلم ما في الغد، وأنها على استعداد بالقيام بأي شيء من أجل الوطن، حتى ارتباطها بأحمد كان من أجله، فالوطن أولًا ومن بعده البقية تأتي.

شعر هوري أنّ الخلاص في رحيل سام وأحمد مهما كانت الوسيلة.

"جزء كبير من إعمار الأرض هو التخلص من الجذور القديمة إما باقتلاعها وإما بتجريف هذه الأرض"

زفاف داوود

مرت الأيام سريعًا، الغد هو يوم الزفاف، ذهبت إيجي لملاقاة العم أحمد في عزلته، تأمل حضوره، ليس بكونه والد العريس، بل ليكون وليًا لها، عودة أحمد للحياة مرة أخرى لم يكن يتوقعها هوري، هذا الأمر قد يعكر ما يسمو إليه، لذلك أعد العدة وعقد النية.

بدأ الإعداد من قبل لوسين ليوم الزفاف، خصّص لكلّ شخصية موكبًا يستقله ذهابًا وعودةً من وإلى المدينة العائمة حيث مقر الاحتفال، عدا لوسين وأحمد يذهبان مع العروسين عن طريق البحر..

لكن كلّ هذا تغير في يوم الزفاف بعد أن جاء إلى لوسين ومن قبله سام، أما الثاني كان يلومها في تأخير تنصيب ابنه إلى بعد الزواج ويتوعدها لو كان في الأمر شيء، والأول الذي أغضبه عودة أحمد للظهور وليس هذا ما اتفقا عليه في المستقبل، كان هوري يظن أن الوحدة والانعزال يقتلان أحمد لكنه عاد.

بكل هدوء عاتبته لوسين وذكرته بأنها دعت هذا الأمر للمستقبل، ولا أحد يعلم ما فيه، وأخبرته بأن هذا المستقبل في خطر بعد حديث سام.

تأمل هوري كلماتها وبعد صمت أخبرها بأن الخلاص بيده، وأنه على استعداد أن يفعل المستحيل من أجلها.

علقت لوسين قائلة: بل من أجل الوطن.

ابتسم هوري وهو يقول: نعم من أجل الوطن، وأعلم أنكِ تفعلين أي شيء من أجله، قال ذلك ونظر إليها ثمّ مدّ كفه قائلًا: عاهديني.

سارت لوسين خطوتين جانبًا، ثمّ التفتت إليه قائلة: تلك الحقيقة التي لابد أن تعلمها، لا حبّ يعلو حبّ الوطن.

بعد تلك الكلمات انتابت هوري لحظات من السعادة بدت على وجهه، ثمّ بعد ثوانٍ طالبها بمهمة التنظيم في يوم الزفاف فأسندت إليه المهمة.

سارت الأمور كما كان مرتب لها مع بعض التغيير، العروسان فقط من يذهبا عن طريق البحر، والملكة لوسين وألين يستقلان سيارة يجرها أحصنة ملكية، وأحمد وسام يستقلان أخرى.

مرت ساعات من السعادة تملأ قلوب الجميع، احتفالات تبهر العالم، وبعد أن انتهى الاحتفال عاد الجميع كما جاء وبالوسيلة نفسها، لكن طريق العودة لم يكن مفروشًا بالورود؛ توصلت أيدٍ غاشمة وفجرت السيارة التي كان بها أحمد وسام، لم تبقِ من أشلائهم شيئًا، اهتزت كل أرجاء البلاد، ثارت حالة من الطوارئ، لا أحد يعلو فوق القانون، سحب الحصانة الملكية مؤقتًا، تعيين رئيس للجيش بشكل مؤقت غير ابن سام، تولى الجهاز الرقابي التحقيقات حتى توصل لبعض الصور التي تثبت تورط هوري مع بعض الضباط في الحادث، أصدرت أمرًا بالقبض عليه ومن كان معه، حاول

هوري أن يتوصل إلى لوسين ولم تنجح محاولاته، صار يردد أن الملكة لوسين كانت على علم ولكن لا أذن تسمع.

بعد فترة الحداد قامت لوسين بتنصيب داوود ملكًا للبلاد، وخيرت ابن سام بين المكوث كمواطن له حصانته ومكانته، أو مغادرة البلاد، فكان قراره مغادرة البلاد.

انتهت لوسين من كل هذا واختارت العزلة حيث كان أحمد، كان آخر من يودعها داوود وزوجته، عند دخولها من الباب فتحت ذراعيها مبتسمة وكأنها تنظر لشيء بالداخل، وكانت آخر كلماتها: ما أحلى الخروج من الباب الضيق إلى الفناء الواسع....

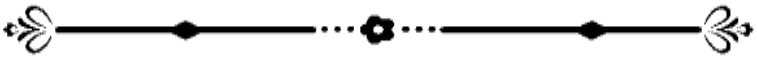

محتويات الرواية

إهداء..... 5

الجمعية العمومية للأمم المتحدة..... 7

الماضي..... 8

منزل القائد..... 11

المستشفى العام..... 15

القرية (بلدة أحمد) 18

بداية الرحيل..... 20

بداية الوصول..... 25

بداية المهمة..... 28

زيارة ترفيهية..... 32

اللقاء الأول..... 34

سر الصحيفة 39

لحظات البعث..... 45

كشف الحقائق..... 50

ما قبل البداية..... 57

البداية..... 64
الوجه الحقيقي..... 70
حنكة سام..... 76
بداية الاستقلال..... 81
ما بعد قيام الدولة..... 91
بداية التصحيح..... 102
بعض التفاصيل في مقتل سمير..... 112
تفاصيل أخرى..... 115
مواجهات صعبة..... 118
زفاف داوود..... 131
محتويات الرواية..... 134

للتواصل مع الدار

التعاقدات

المعارض

الصفحة الرسمية

مسابقات

طلب إصدارات

الإعداد

التوزيع